مجلة البيان مكتبة شبكة
مشكاة الإسلامية
هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان – العدد 21 ، صفر 1410هـ ، سبتمبر 1989 م

الافتتاحية

ولنصبرن على ما آذيتمونا

إذا أراد المشرفون على الإعلام الـغـربي أن يهاجموا شخصاً وينزلوه من عليائه -إذا كان في منزلة لها أثر- فإنهم يُطبِقون عليه من كل الجهات، وتنهال الكتابات عنه انهيالاً،وتنثال انثيالاً ، فمن محلل لشخصيته وعيوبها ؛ ومن مكبر لأخطائه ودافن لحسناته ، ومستصغر لها ؛ أو مشكك في الباعث عليها ، ولا يسلم منه حينذاك شيء، لاجسمه ولا قسماته، ولا ثيابه ولا طريقة إشارته، ومـا يزالـون يـبـدئـون ويعيدون في ذلك خلال أسبوع أو أسبوعين حتى يجتمع لك مما قالته فيه الصحف والمجـلات والإذاعـات مـقـدار هائـل يعـجـز عـن الإحاطة به المتخصصون ، ويضل المؤرخ في محاولة البحث عن الحقيقة بين ثناياه .

وعـلـى الـعـكـس مـن ذلك إذا اتجهت النية إلى إحلال شخص مكانة مهمة فينقلب القدح مدحاً ، وتسخر الأقــلام والأجهـزة لاخـتــلاق مزايا ومناقب ، بل تعد مكاتب متخصصة للرصد والتنبؤ من أجل المساهمة في صنع الشخصية ، وأمامنا مثل صارخ ومحير لأول وهلة ، ولكن هذه الحيرة سرعان ما تذوب بعد فترة تفكير قصيرة في ما وراء الكَتَبة وما يكتبون .

وهذا المثل هو: بنازير بوتو. فقد بدأت أجهزة الإعلام الغربية حفلة تنصيبها قبل تسميتها لهذا المنصب بمدة ليست بالقصيرة ، أي قـبـل مـوت ضـيـاء الحق ، وطبقت عليها نظرية "مــرآه الكف (1)" (التي ذكرها مالك بن نبي) بمهارة ، بل بـشـطــارة (2) . بـل وضـعـت حواليها مرايا كثيرة كل منها عكست عليها لوناً طريفاً ، وأعطت لشخصيتها بعداً مسانداً.

أول هذه المرايا: أنها خريجة أكسفورد ونتاج الثقافة الإنكليزية العريقة وإذا كان للمتثقف بالثقافة الإنكليزية ذلك السطوع في البلاد التي استعمرتها بريطانيا يوماً ما ، فما بالك إذا كانت هذه الثقافة لبست لبوس "أكسفورد" وادّهنت بدهن "أكسفورد" ؟!

وثانية هذه المرايا: أنها بنت السياسي العريق ، والمتهم المظلوم الذي غدر به صنيعته (أي ضياء الحق) ليحكم البلاد حكماً فردياً طيلة أحد عشر عاماً بعيداً عن الديموقراطية التي كان يحبها ذو الفقار علي بوتو حباً جماً !

وثالثة هذه المرايا: أنها خارجة من بيئة إسلامية ، هذه البيئة التي تكبح المرأة ، وترى من غير الطبيعي إسناد بعض الوظائف والمناصب لها ، ولذلك فهي "صيد سمين" ، وإذا رشحت لرئاسة الوزراء في بلد مسلم فهذه سابقة لها ما بعدها .

ومرايا كثيرة نصبت حولها، ومبالغات وتملق،لم يتركوا شيئاً لم يتناولوه بالوصف والتعلق: جسمها، قوامها، وشعرها، وبسمتها، ونظراتها وسحرها، وتفاصيل ملابسها، هذه فقرة من مقال عنها :
"بنازير بوتو التي قابلتها مصادفة في ردهة فندق ضخم ؛ رشيقة، نضرة، كانت تضع قطعة قماش شفاف على شعرها ، وترتدي بلوزة فضفاضة، وسروالاً واسعاً، كلاهما أبيض، وعلى كتفيها شال قطني ذو لونين:خمري وأسود،ممهور بأحرف اسم حزبها بالحروف اللاتينية (P.P.P.) وبالعربية (ب. ب.ب) "(3) .
أترى أنه يصف عارضة أزياء؟ .
وخلال مدة قصيرة صنع الإعلام الغربي بنازير بوتو وأحلها هذه المكانة، وما زالت مساحة الـمعجبين المسيّرين تتسع وتتسع ، وتضم في خضمها ناساً من مختلف الطبقات والمستويات والثقافات .
ونحـن إذ نـذكــر ذلك ونستشهد به فلكي نرى كيف تصنع الأساطير في دهاليز الأساطير ، وهـي أجـهــزة الإعـلام، ولـكـي نـتـبـين مواطئ أقدامنا، ونقيس قدراتنا إلى هذه القدرات الشيطانية التي يمتلكها هذا الإعلام الـكـافــر الـذي يحـارب الحـق بالأباطـيـل ، ويغطيه بالأساطير .
وإنه ليحز في النفس أن تنعكس الصورة الشريرة لهذا الإعلام على شعوب الأمة الإسلامية، وتبتلى به في عقر دارها على أيدي المقلدين والممسوخين الذين يقلدون الغربيين في أسوأ أعمالهم ، وإذا كان الإعلام الغربي يترك مجالاً لوجهات النظر المختلفة أن تأخذ مداها مناقشة ومدافعة ؛ فإن ربيبه المتسلط فوق رقاب المسلمين لا يؤمن بخرافة اختلاف الرأي؛ بل يحب الوحدة والتوحد والتفرد ، فيحمل وجهة نظره الأحادية ، ويقرع بها الخصوم صباح مساء واذا لم تدخل طواعية ، أدخلت قسراً ، وإذا استعصت العقول على حملها فلتلغَ العقول ، أو فلتختف الرؤوس التي تحمل تلك العقول التي عجزت عن استحسان ما لا يستحسن !.
إن القهر الفكري الـمضروب على المسلمين - وقد شارف هذا القرن على الانتهاء - ليزري بكـل القـهـر الـذي ذاقــوه في تاريخهم الطويل ، وإن الاستبداد الذي ألفت فيه الـكـتـب والمقالات عرفه للناس، وعُرِّف به عن طريق ما كتب عنه فـي وقـتـه، أمــا ما يتقلب فيه المسلمون اليوم فربما يبدو للأجيال اللاحقة على أنه نعيم مقيم ، ولسنا مـتـأكـدين إن كان التاريخ سيستنطق من شهوده من يمكنه النطق قبل أن تتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق .
لكن مهما أصر الغي على غيه ، وتشبث بباطله ؛ فإن على المسلم أن يقابل ذلك بالـصـبـر والـمـصـابـرة ، والإصرار على الحق الذي يؤمن به ، ولا يلفته عن ذلك ما يلاقي من كيد وعنت ومكابدة ، فهذه هي سنة الله في أنبيائه

ورسله وحملة دعوته ، ((ومَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ولَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ)).

الهوامش :

1- ذكر ذلك مالك بن نبي في كتابه : "الصراع الفكري" .
2- بمعناها اللغوي لا العرفي .
3- The Guardian Weekly 30/7/1989 م .

بيان السنة للقرآن (2)

الشيخ مسفر الدميني

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد:

ففي حلقة العدد (18) وعند بياننا لقوله تعالى : ((ولَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ومِنَ الَذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ومَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَن يُعَمَّرَ واللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ)) [البقرة:196] عرضنا لما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من ذل وهوان وتحكم لليهود في أرضها ومصالحها وعلاقاتها .

وأن الأمل في زوال هذا الذل وهذه المهانة هو أمل فيما وعد الله عباده الصادقين المتقين من تمكين لهم في الأرض ، أما كيف يكون هذا التمكين ؟ ومتى يتحقق ؟ فهذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذه الحلقة -إن شاء الله تعالى- .

بين -سبحانه وتعالى- في آية سورة النور صفات المستحقين للتمكين فقال : ((وعَدَ اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَذِي ارْتَضَى لَهُمْ ولَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ومَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ)) [55] .

فالإيمان بالله والعمل الصالح وعبادة الله وحده دون إشراك به هي الصفات التي يستحق من اتصف بها الاستخلاف في الأرض والتمكين وتبديل الأمن بالخوف ، وما لم تكن عبادة الله خالصة من كل ما يشوبها من أنواع الشرك فلن يحصل الأمن ولا التمكين ، ولا تكون العبادة خالصة إلا بالعقيدة الصافية ، فالعقيدة هي الأصل وعنها تقبل الأعمال أو ترد ، ولذا قدم -سبحانه- ذكر الإيمان على العمل فقال : ((الذين امنوا وعملوا...)) فالعمل من غير إيمان بالله لا قيمة له ، وكذا الإيمان لا يكون إلا بالعمل الخالص الموافق للشرع .

والناظر في أحوال الأمة يجد الاختلاف والفرقة والتشتت بين بلدانها وشعوبها ، بل بين أناسي البلد الواحد والشعب الواحد ، وأسباب هذا الاختلاف كثيرة نذكر منها :
ظهور القوميات الجاهلية المبنية على التعصب للقوم أو الجنس أو البلد ، وهذه العصبيات أذكاها الاستعمار الأوربي لبلاد المسلمين .
ومنها ظهور التيارات الفكرية المرتبطة بالـغـرب النصراني أو بالشرق الشيوعي ، وكان أثر هذه التيارات والأحزاب في عقيدة الأمة وفكـرهـا قوياً بحيث قل أن تجد مثقفاً لا يميل أو ينتسـب إلى حزب من تلك الأحزاب أو جبهة مـن تلك الجـبـهـات الـمـتـعـددة الأهــواء والاتجـاهـات والتي يجمعها - غالباً - التنكر للإسلام عقيدة وشريعة، أو إضعاف أثره في الأمة وعدم الثقة في إمكان قيام الدولة على أسس منه ، إضافة إلى ما زرعه المستعمرون من حروب وعداوات بين شعوب العالم الإسلامي ، فقلما تجد دولة لا تضمر لجارتها عداوة أو تخشى منها حرباً .
وهذه الاختلافات وغيرها تحتاج إلى دراســة وبيان لكيفية الخلاص من آثارها مما لا يتسع المقام لذكره ، لكـنـنـا هـنـا سـنـعـرض إلـى سبب آخر غير ما تقدم أحسبه جديراً بالتنبيه لخطورة أثره ، ذلكم هو الاختلاف الناشئ عن العقيدة في صفوف الدعاة إلى الله .
فإذا لم تجمعهم العقيدة الراسخة المستمدة مـن الكـتـاب والسنة على منهج سلف الأمة فما الذي يجمعهم إذاً ؛ هل تجمعهم المصالح المشتركة ؛ أو الـمصير المشترك ؛ إن العقيدة هي الأصل وهي عنصر الاجتماع والوفاق، كما أنها سبب الخلاف والعداء والفرقة ، والداعي إلى الله عليه أن يتبين خطواته ، وأن يعرف موقعه بين ثلاث وسبعين فرقة حتى لا يكون من دعاة الضلالة الذين يدعون إلى النار وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .
إن الصدق في البحث عن الحق هو أول أسس الوفاق والاجتمـاع ، فإذا صدق المختلفون من الدعاة في طلب الحق وُفقوا إليه أو أجروا عليه ، والكتاب والـسـنــة النبوية هما الأصل ، وإليهـمــا المصير عند الاختلاف ، كما أن فهم الصحابة والتابعين مـن سلـفـنـا الـصـالـح لنصوصهما أصل أمرنا بالأخذ به واتباعهم فيه بنص الكتاب والسنة .
وإذا كان الأمر كذلك فلننظر فيهما ونقف عند حدودهما فسنجد دون شك فيهما ما يحسم الخلاف ويجمع الشتات ويؤلف بين القلوب المتنافرة ، والعقائد المتباينة فتصبح الأمة يداً واحدة ، والـدعـاة صفـاً واحداً ، وبين يدي ذلك علينا أن نعلم أن الاختلاف الواقع بين الأمة أمر نحن منه على بينة ، فقد أخبرنا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، كما أن هذا الاختلاف قديم فقد وقع في عصر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يمنعنا علمنا بوقوع هـذا الاخـتـلاف وقـدمـه في الأمة من العمل على جمع الشمل

ولم الشتات وتوحيد الكلمة ، ذلك أن الذي أخبر بوقوع الاختلاف والفرقة قد أخبرنا بطريق النجاة ، وأعلمنا المخرج من تلك الفتن ، وجعـل اتباع ما كان عليه هو - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه هو الحق والصواب الذي لا محيد عـنـه ، وألـزمـنـا أن نـدعـو من ضل الطـريق أو جهل المخرج إلى سواء السبيل ، وهذه مهمة سلفنا الصالح فيما مضى ، وهــي مهمة الدعاة الآخذين سبيلهم اليوم ، وهل يظن أحد برسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخبر أمته باختلافها إلى فرق وأحزاب ولا يخبرها بالمخرج من الفرقة والاختلاف ، ولا يبين لـهـا طريق الحق والصواب لتسلكه وتتخذه سبيلاً حتى تسلم من الوقوع في النار التي أخبر أن من ضل طريق الحق كان مستحقاً لها ؟ لا يظن به ذلك إلا منافق أو كافر ، ويكفي في رد هذا الـظـن السيئ قـوله - صلى الله عليه وسلم - : "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا مـلـة واحدة . قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي" (1) ، وللحديث طرق أخرى .
وإذن فالطائفة التي على الحق هـي الـتي عـلـى مثل ما عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، ويبين هذا الحديث الآخــر : "لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله"(2) فـهـذه الطائفة هي الطائفة الناجية وهي بدون شك تلك التي سلكت سبيل النبي - صلى الله عـلـيه وسلم - وسبيل أصحابه ، وهم أهل العلم كما قال البخاري أو أهل الحديث كما قال ابـن الـمديني والإمام أحمد -رحمهم الله جميعاً- .
وسبيل الصحابة الاتباع لرسول الله - صلى الله عليه وسـلــم - لا الابتداع ولا التأويل أو التحريف أو التعطيل ، كما أن سبيلهم الوقوف عند النـصـوص الشرعية ، وجعلها المصدر للتشريع ، والحكم عند الاختلاف ، فلا يردون نصاً صحيحاً ، ولا يتأولونه أو يخرجونه عن ظاهره ، ولا يحكمون عقولهم في النصوص أو يقدمون حـكـمـهــا على حكم الله وحكم رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، كما لا يتهمون السلف بأن طريقـتـهـم في فهم النصوص أسلم وأنهم أعلم منهم وأحكم ، بل يرون طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم ، لأنها طريقة الأصحاب الذين أمرنا باتباعهم ، فهم قاموا بالحق ، وهم الطائفة المنصورة المؤيدة الذين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، ومن ظن أنه أعلم منهم أو أحكـم فـقـد ضل وغوى وخسر .
من كل هذا نعرف أن الحق واحد وأن الوصول إليه سهل يسير ، فما علينا إلا أن نـأخــذ الـحق من مصدره ونسلك في فهمه واعتقاده مسلك من نقله إلينا من الأصحاب والثقات من الأتـبــاع من سلفنا الصالح ، ولن تقوم للأمة قائمة إلا إذا اتبعت ذلك المنهج وسلكت تلك الطريق فهي طريق الوحدة والجماعة

ومن سلك غيرها فقد بغى الفرقة والضعف والهوان ، ووقع في وعيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمن سلك غير طريق أصحابه ومن تبعهم من الفرقة الناجية حيث قال : »كلهم في النار إلا واحدة ، قالوا : ومن هي ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي« .

أما مـتـى يـكـون التمكين ؟ فهذا علمه عند الله ، وما على المؤمن إلا أن يسلك طريق الحق وسبيل الأصحــاب والأتـبــاع مــن السلف الصالح ، وأن يعمل على نشر دينه وعقيدة أهل السنة والجماعة ، وأن يبث العلم في الناس ، فأكثر ما يؤتى الناس بسبب الجهل والهوى ، والجهل دواؤه العلم فمن تعلم الـعـلـم الـشـرعــي فقد أخذ بأسباب الهدى والتقى ، فلا يمنعه الهوى من اتباع الحق .

وإن كنت واجداً من أهل العلم من ليس تقياً ولا مـوفـقـاً إلا أن الغالب على من تزود بالعلم الشرعي أن يكون أقرب إلى الحق ممن لا علم عنده من العوام والأعراب . قال تعالى : ((هَلْ يَسْتَوِي الَذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)) وقال : ((إنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - :»من يرد الله خيراً يفقهه في الدين" ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم :".. ولتفشوا العلم ، ولتجـلـســوا حتى يُعَلَّم من لا يَعْلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً" ،وقال - صلى الله عليه وسـلـم -: »إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حـتـى إذا لـم يـبـق عـالـماً اتخذ الناس رؤوساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا« (3) .

فتعليم الناس العلم الشرعي، وتربيتهم على عقيدة السلف ، هو أول طريق جمع الكلمة ولم الـشـتـات ، وعلى طلبة العلم الأخذ من أفواه الشيوخ والعلماء وعدم الاتكال على الكـتـب والصحـف فــذلك هو سبيل السلف في أخذ العلم وتلقيه ، فسيرة الشيخ و سلوكه جزء من العلم الذي يأخذه عنه التلاميذ ، فإذا سلك الشيخ في أخذه وأدائه وتعليمه منهج السلف في الأخذ والفـهـم والتـعـلـيم ، وعلم طلابه أدب الطلب قبل العلم ، وأدب الاختلاف قبل الخلاف ، وأسلوب الحوار قبل الجدال ، والانتصار لله لا للنفس ، وقبول الحق ولو كان على لسان الخصم وعدم أخـذ الـنـاس بالـظـن ، أو الـبـحـث عن عثراتهم ومعايبهم ، أو تجريحهم بما لا يجرح ، وغرس في نفوسهم حب الله وحـب رسـولــه - صلى الله عليه وسلم - ، واحترام السلف وانزالهم منازلهم التي يستحقونها ، إلى غـيـر ذلك مما أثر عن سلفنا الصالح ، إذا فعل أهل العلم - طلاباً وشيوخاً - ذلك الأمر فـسـيـتـغـيـر الـحــال ، وتنجلي الغمة ، وتتفق الكلمة وتقوى الأمة ، ويعز الله جنده ويمكن لهم في أرضه ، وهذا أمــل نـرى بـوادره آخــذة فـي الظهور فحلقات الدروس ، وندوات المساجد والمحاضرات المختلفة نرى الاقبال عليها كبيراً ، والرغبة فيها شديدة ، وأثرها

على طلاب العلم خاصة ، وعلى المجتمعات الإسلامـيـة عـامـة بَيَّن ظـاهــر ، رغم ما نرى في هذه المجتمعات من مظاهر الانحراف والفساد .
ومادام الكتاب والسنة المصدر هما المرجع عند الاختلاف ، فعلى كل طائفة أن تنظر بعين الانصاف لترى ماذا تركت من كتاب الله وسنة رسـولــه - صلى الله عليه وسلم - ، أو أوُلت من نصوصهما ، أو ردت من أحكامهما ،وعلى أهل العلم أن يلتقوا ليأخذوا الحق من مصدره ، ولا تمنع الأنفة المخطئ من الرجوع إلى الحق اذا ظهرت حجة خصمه إن كان صادقاً في بحثه وحواره ، لأن من كانت بغيته الحقيقة وهدفه الهدى والسلامة من الضلال ، فظهور الحق مع خصمه يسعده ويرضيه كظهوره على يـديــه ، أمـا مـن كـان خصـامـه وجداله لشخصه لا للحق فإن هواه يمنعه من اتباع الحق إذا كان مع مخالفه .
ولـقـد كـان أئـمـة أهــل الـسـنـة والجماعة من سلفنا الصالح مثالاً يحتذى في أدب الحوار والنقاش ، وفي أدب التعلم والتعليم ، فهذا أحدهم يقول : ما جادلت أحداً إلا وتمنيت أن يكون الحق على لسانه ، وهذا عـبـد الله بن المبارك يقول : "طلبت الأدب ثلاثين سنة ، وطلبت العلم عشرين سنة ، وكانوا يطلبون الأدب ثم العلم" ، ويقول : "طلبنا العلم للدنيا ، فدلنا على ترك الدنيا" .
وهذا الاسترسال في بيان حال الأمة وسبيل جمع كلمتها لا يبعدنا عن بيان الآيات السالفة الذكر ، فإن حال أمة الإسلام - من حب للحياة الدنيا وركون إلى الدعة وترك الجهاد - يشبه في بعض جوانبه حال اليهود الـذيــن يحرصون على "حياة" ويهابون الموت ولو كان سبيلاً لعزهم ومجدهم ، ومن خاف الموت وترك الجهاد ، وفي تركه الهوان و الذلة ، وهذا ما تعيشه الأمة اليوم إذ طوت راية الجهاد الـتـي كـانت تـرهـب أعــداء الله مـن اليـهـود والنصارى وغيرهم من أمم الأرض الكافرة ، واستبدلت به ولاءً لأعدائها ومغتصبي أرضها وأوطانها ، وتنكرت لدعوة الجهاد بعد أن تركت شرع الله وحكمه ، ولا خلاص للأمة مما هي فيه إلا أن ترجع إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وعقيدة السلف الصافية من شوائب الشرك بصدق وإخلاص وثقة فيما وعد الله .
إمـا إن ادَّعـت الـرجـوع إلى لله للتجربة الإسلامية في اصطلاح الأوضاع الفاسدة فهذه توبة منافق مرد على النفاق لا إخلاص فيها ولا صدق نية .
رزقنا الله وإياكم العمل الصالح الخالص لوجهه ، وإلى لقاء في عدد قادم إن شاء الله تعالى.

الهوامش :

1- سنن الترمذي / 26 ، وانظر العدد الثاني من "البيان" مقال "التجديد في الإسلام" جزى الله كاتبه خيراً .

2 - صحيح مسلم 3 / 1523 ، النظر العدد الأول من "البيان" ففيه تخريج موسع للحديثين .
3- صحيح البخاري ، كتاب العلم 1 / 159 ، مع فتح الباري .

خواطر في الدعوة

ليعط كل ذي حق حقه

محمد العبدة

إن ما يجري على الساحة الإسلامية في هذه الأيام من الخلط في الأسـمـاء والمـسـميات شيء يدعو إلى العجب، فالناس يطلبون من المفـكـر أن يكون فقيهاً، ومن الفقيه أن يكون خطيباً، ومن الواعظ أن يكون عالماً، وقد يـسـأل الـمـتـفـقه أو المشتغل بعلم الحديث عن أدق الأمور السياسية فإذا أجاب أتى بالعظائم ، ويُسأل الواعظ الخطيب عن أدق الأمور في العقيدة أو الفـقـه فيجيب بإجابات غير صحيحة أو غير دقيقة ، وكأن المفترض في هؤلاء أن الواحد منهم إذا أتـقـن علماً معيناً أن يتقن باقي الـعـلـوم، وبالجملة فالناس يريدون أمة في رجل وينسون أن المواهــب والـقـدرات مـوزعـة بـيـن الناس، وقد لا تجتمع عدة مواهب إلا في الآحاد من الناس، وقد يفتح الله -سبحانه وتعالى- على بعض بالخطابة المؤثرة التي تلبي حاجة العاطفة والوجدان ، وعلى الآخرين بالحديث المشوق الهادئ ، ويتجه أناس نحو الكتابة وعالم الفكر ، والناس في هذا ما بين عالم ومتعلم ، وكل يستفاد منه حسب طاقته وحسب اختصاصه .

يروى أن الخليفة العباسي المأمون أراد من المؤرخ الواقدي حفظ سورة من القرآن من أواسط المفصل فلم يقدر ، فقال المأمون: هذا رجل فتح الله عليه في التاريخ ، وقد وصف أحد نقاد العلم علماء عصره وقدراتهم ومكانتهم فقال: سفيان الثوري عالم بالحديث ، والإمام الأوزاعي عالم بالسنة ، والإمام مالك عالم بهما جميعاً ، فالأمر واضح عند هذا الجيل حول قدرات الناس ومكانتهم العلمية ، فلا يرفعون أحداً فوق مكانته ، ولا يبخسون أحداً حقه ، بينما نرى اليوم أن أي متكلم أو خطيب مفوه يقال له: العالم الشيخ الدعية ، وهذا خلط وتلبيس على الناس يجعلهم يسألون ويستفتون من لا يصلح للفتيا والسؤال ، حتى أن بعض من أسلم من الأوربيين صار يُستفتى وهو أحوج ما يكون إلى تعلم الإسلام على أيدي العلماء .

كان أسـتـاذنـا الكـبـيـر محمد أمين المصري -رحمه الله- مدرساً للحديث النبوي في قسم الدراسـات الـعـلـيا في الجامعة الإسلامية وقد سمعته يوماً يقول: إذا كان هناك علماء فهو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، أما أنا فـ

(طويلب علم) ، وهذا من تواضعه -رحمه الله- وشدة تحريه ونقده ، وكتابه (تفسير سورة الأنفال) يدل على تحقيق وعلم غزير .
يجب أن يعلم المسلمون أن هناك علماء وهناك طلبة علم... ومتحدثون.. خطباء وكتاب.. فتوضع الأمور في مواضعها ، وترجع إلى نصابها ، ويستفاد من الطاقات كل في موضعه ، فالشخصية المحببة للناس الذي يتقن فن العلاقات العامة يصلح للتصدي لإرشاد الناس والتحدث إليهم ، والمفكر الإسلامي قد يكون بعيداً عن هذه الأجواء ولكن يستفاد منه في عمق الملاحظة ودراسة تطورات المجتمع وعلله وخفاياه ، وقد يطلب من العالم أكثر مما يطلب من غيره فالأصل فيه أن يكون (ربانياً) يربي الأمة ويسوسها ، فإذا لم يوجد فلنستفد من كلٍّ ومقدرته وما فتح الله عليه به .

من قضايا العلم والتعلم
بقية الحديث عن البديل
(3)

د . عبد العزيز القارئ

في غياب العلماء الربانيين، وفي ظل علماء الحاشية (1) تولد في نفوس كثير من طلاب علوم الشريعة روح التمرد ، فأعلنوا العصيان على العلماء .
ظاهرة واحدة لها جانبان متشابهان هما وجهان لشيء واحد:في غياب الفقهاء المجتهدين، وفي ظل المقلدين الجامدين (المتعصبين لمذاهبهم لقلة علمهم) نشأ روح التـمـرد على مـدارس الفقه ومذاهبه كلها من أساسها ، فوقعت أو تكاد تقع مهزلة فقهية .
وفي غياب العلماء الربانيين في ظل علماء الحاشية نشأ روح الـتـمـرد والـعـصـيان فـي نفوس المتفقهين وطلاب علوم الشريعة ، ليس على العلماء فحسب، بل على كل شيء، تمرد على جميع الضوابط ، فإذا بأبرهة وجيشه ، يعكر صفوهم ، ويبدد اطمئنانهم هذا التمرد الذي أتاهم من حيث لا يحتسبون .
لاشك أنهم في حيرة دائمة: إن كان هناك علماء ربانيون فالخوف من الطيور الأبابيل، وإن لم يكن فالخوف من انفلات روح التمرد من عقالها ، ولعل هذه مخوفة أكثر من تلك، لأن هذه بلا ضوابط ، ((ويَأْبَى اللَّهُ إلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ولَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ)) .
وراح المتفقهون يعلمون أنفسهم بأنفسهم ، ويربون أنفسهم بأنفسهم ، وهذا أمر غير ممكن، لا يستطيع أي صغير أن يرضع نفسه بنفسه ، لا ينبت ريشه إلا في المحاضن الصـحـيـحة التي خلقها الله لذلك .

كل مـجـمـوعة ائتلفت من هؤلاء المتفقهين تجمعت حول نفسها تحاول التعلم، ولـكـن أيـن المعلم ، أين الرأس ؟.
رأى الإمام أبو حنيفة حلقة في المسجد فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : جماعة يتفقهون . قال: هل لهم رأس؟ قالوا : لا. قال: لا يفقهون أبداً (2) .
في مجال علوم الشريعة عملية التعلم والتعليم أهم عنصر فيها هو (الرأس)،أي العالم المعلم، لأنه منوط به أمران مترابطان لا انفصام بينهما: التعليم والتربية: أي (التدبير والسياسة) ((كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ)) [آل عمران / 79] .
قـال ابـن جرير : الربانيون هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولـذلـك قال مجاهـد : وهـم فـوق الأحبار. لأن الأحبار هم العلماء ، والرباني : الجامع إلى العلم والفقه البصر والسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم (2).
هذا هو معنى (الرأس): أي عالم رباني يسوس أمور المتعلمين ويدير شئونهم ، ويربيهم ويعلمهم .
بدون هذا الرأس لا يفقهون أبداً ، لأن الفقه في الإسلام ليس نظريات مجردة ، ولا قوانين جامدة ، ولا معلومات منفصلة عن الحياة ، إنه علم وعمل، علم أنزل للتطبيق، وللحياة ، ولذلك كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلقون العلم والعمل معاً .
ولكن أمام ضغوط المجتمع الفاسد ، وقصور البديل المتاح سواء كان تعليم علماء الحاشية ، أو التعلم بلا رأس: كثرت الآفات التي يصاب بها المتفقهون اليوم .
مـن أخطرها فساد المقصد: ومن أعجب مظاهر فساد المقصد هذا الحرص العـجـيـب عـلـى (الإمامة) ، والرئاسة العلمية ، هل يلهث جميع هؤلاء لنيل الإمامة ؟.
تـجـد مـتـفـقـهـيـن يفـتـرض أنهم في أول الطريق ، حدثاء الأسنان ، وإن لم يكونوا حدثاء الأسنان فهم (حدثاء العـقـول) تجدهم يـتـعلـمـون أدوات الاجتهاد (أصول الـفـقـه، أصول الحديث ، تخريج الحديث ، علم الرجال ، أدلة الأحكام ، التفسير ، أصول التفسير...) قبل أن يتعلموا الفقهين : فقه التوحيد ، وفقه الأحكام ، مع أنهما واجبان ليس على كل متفقه فحسب، بل على كل قادر على التعلم، بينما (الاجتهاد) لا يجب على كل متفقه ، بل لا يجوز أن يتصدى له أي متفقه حتى يكون أهلاً له ، ولا يكون أهلاً له حتى يجتاز مراحل علمية، ويستوفي شرائط معينة لا يسقطها ضجر هؤلاء المتفقهين بها ، لابد من ذلك وإن ضجر منه (حدثاء العقول) .
بعض العلماء المعاصرين ممن لم تتحقق فيهم صفة (الكفاية)، أي الخبرة والحنكة ، لا أقول بعالم السياسة فحسب، بل حتى بأصول التربية (الربانية)،

الحنكة والخبرة بتدبير شئون المتـفـقـهيـن، بعض هؤلاء العلماء يشجعون ظاهرة طلب الإمامة العلمية والجري وراءها من حدثاء الأسنان وحدثاء العقول تحت وهم أن ذلك يشجع على حرية التفكير .
منذ عام 1381 هـ رأيت ماذا صنع هذا المسلك ، وعشت في داخله متأثراً حيناً ، ومتفرجاً في أكثر الأحيان ، وشاهدت بعيني ماذا فرخ لنا هذا الأسلوب في تعليم المتفقهين ، فرخ لنا جيلاً جدلياً من الأئمة الصغار - صغار الأسنان أو صغار العقول - أتقنوا (الجدل) بدلاً من العلم ، حتى إنهم كانوا يجتمعون حول (شيخ الحديث) في بعض الرحلات البرية يجادلونه طوال الليل حتى مطلع الفجر في مسائل معدودة لا يتجاوزونها ، وأكثرها بينها الشيخ المذكور في كتبه التي صنفها ، لكنهم لا يقرأون ، لأن القضية عندهم لم تصبح قضية التعلم ، وإنما هي شهوة الجدل . حضرت يـومـاً درساً فـقـهياً لأحد أفاضل العلماء ، وكان من عادة ذلك الـشـيـخ أن يخصص الوقـت بـعـد صلاة العشاء للأسئلة ، وتقدم فتى في سن (المراهقة) لم يخضرَّ شاربه بـعـد، وبـيـن الأذان والإقـامـة لم يـطـق صـبراً حتى يأتي وقت الأسئلة بعد صلاة العشاء ، وحشر الفتى نفسه بين الصف حتى لاصق مـنكبي الشيخ ، ثم سأل :
الفتى : هل تُشترط الطهارة لمس المصحف ؟.
الشيخ: نعم .
الفتى: ما الدليل ؟.
الشيخ: قوله تعالى: ((لا يمسه إلاَّ المُطَهَّرُونَ))، وحديث: »ألا يمس المصحف إلا طاهر«.
الفتى :أما الآية فلا دليل فيها لأن المراد بها اللوح المحفوظ ، وأما الحديث فالمراد به ألا يمسه إلا مسلم بدليل نهيه - صلى الله عليه وسلم - عن حمل المصحف إلى أرض العدو .
والتفت إليه الشيخ فإذا هو فتى حدث السن ، فتبسم وقال له: ما الذي ترجح أنت ؟.
الفتى : أنه لا تشترط الطهارة لمس المصحف .
الشيخ: أعمل بما ترجح لديك .
هذا الأسلوب في تربية الشباب المبتدئين كان يمكن أن يخرج علماء مـتـحـرري الفكر ، لو كان أسلوباً صحيحاً سليماً ، لكن التجربة التي شاهدتها بنفسي وعشت داخلها متفرجاً في أغلب الأحيان أثبتت أنه إنما يُفرَّخ (جدلِـيـيـن) بـلا عِـلـم، وأحياناً يفرخ أدعياء مغرورين يملئون الدنيا ضجيجاً وجدالاً، وربما كتباً، كل ذلك بلا علم ذلك لأنه فتح باب الاجتهاد على مصراعيه فدخله كل من هب ودب ، كأنما هي دعوة (الجَفَلَى) إلى الاجتهاد .
فكان من ظواهر هذا المسلك العجيب أمران عجيبان :

أولهما: أصبحت الساحة العلمية مباحة لكل من هب ودب ، يصول فيها ويجول كل مـن اشتهى ولو لم يحمل سلاحاً ولا عدة، فإذا بنا نشاهد أطباء يـفـسـرون القرآن، ومهندسيـن يصنفون في الحديث، بل وعمالاً ومهنـيـيـن عـوام يقـصـدون للفـتوى والتصنيف في الحلال والحرام، نعم إن تدبر القرآن والـتـفـقـه في الدين ليس محـتـكراً لـطـبـقـة من الـنـاس، فلا (كهنوت) في الإسلام ، تدبر القرآن والتفقه في الدين مطلوبان من كل مسلم ، لكن هذا شيء والتصدر للفتوى والاجتهاد والتصنيف شيء آخر .
الفتوى والاجتهاد والتصنيف في عـلـوم الشريعة كل ذلك (حكر) على أهله ، وأهله هم كل من تحقـقـت فـيهـم الأهلـيـة (العلمـيـة) حسبما يقرره أهل الاختصاص ، وحسب الضوابط والقواعد التي اصطلحوا عليها ، واستمر العمل بها إلى اليوم .
ثانيهما: أنه نتيجة لهذا المسلك العجـيـب في الـتـعـلـيـم الـذي جعل الدعوة إلى الاجتهاد (الجفلى)، أصيب طلبة العلم أنفسهم بداء العجلة وسقـوط الـهـمـم، ونفاد الصـبـر، أو قـل عدمه بالكلية، أصبحت صدور طلبة العلم ضيقة، وهممهم ساقطة هزيـلـة، لـم يـعـد هـناك صبر ومصابرة ، ولا جلد على طلب العلم والجلوس عند رُكب المشايخ ، وملازمتهم لأخذ العلم والعمل عنهم ، أصبح طلاب العلم اليوم لا يقدرون على إكمال متن -أي متن -في أي علم من العلوم .
وهكذا مع ضعف الهمم ، بل سقوطها ، ومع عموم البلوى بداء العجلة أصبحت هـيـاكـل التعليم الديني (الرسمية) يمكن أن تخرج متخصصين بالسنة النـبـوية لا يحفـظـون حـتـى خمسمائة حديث ، ولم يقرأوا أمهات الحديث ، ويمكن أن تخرج متخصصين بعلوم القرآن والتفسير لا يحفظون الـقـرآن ، وقد يخطر في بال أحد من (دهاقنة) هذه الهياكل أن يخرج قراءً لا يحفظون القرآن، ومعظم (كليات الشريعة) اليوم تخرج متخصصين بالفقه لم يكملوا دراسة الفقه ، ولو على مذهب واحد من المذاهب المعتبرة .
نصف محدث، ثلث قارئ، ربع فقيه ، بعض نحوي أو أديب . أدباء لا يحفظون المعلقات ولا اللاميتين ولا المقصورة ، نحويون لا يحفظون الألفية ولا الكافية الشافية بل ولا المُلْحَة أو الاجْرُومية ، قراء لا يحفظون الشاطبية ولا الدرة ولا المقدمة ، بل ولا حتى القرآن .
محدثون لا يحفظون عمدة الأحكام ولا بلوغ المرام، بل ولم يقرأوا من السنة شيئاً ولو نظراً. فقهاء لم يكملوا شيئاً من المتون على أي مذهب من المذاهب المعتبرة : العـمـدة أو الـزاد أو منار السبيل ، الهداية أو القدوري ، المنهاج أو المهذب ، المختصر الخليلي أو الرسالة .

الناس جميعاً في عجلة من أمرهم ، ولذلك لجأوا إلى الاختصار ، اختصار كل شيء ، العلم اليوم مختصر ، والدين مختصر ، والعلماء مختصرون ، وما لا يمكن اختصاره ، يلغى .
نحن المسلمون اليوم نمارس بعضاً أو جزءاً من الحياة الإسلامية الكاملة ، وهذا القصور أو النقص يسري في كل شيء ، ومن مظاهره قصور عملية التعليم ، وهذا النقص الفادح الذي أصابها .
والعجيب أنه صاحب كل ما ذكرنا من ظواهر : ظاهرة أخرى أعجب وأشد نكاية بكل من يحلم مثلي بالتعلم على طريقة السلف :
بعض الحمقى من المتفـقتهين الذين اشـتـهـوا التصدر للفتوى والاجتهاد وأرادوا الـتـصـدي للتصنيف والتأليف بلغ من هوس العجلة في العلم عندهم أن أرادوا تحت تأثير تلك الشهوة إلغاء سلم التعلم الذي صنعه السلف ، اختصاراً للطريق ، لأن هممهم ساقطة مثل غيرهم ، لكنهم يطلبون الإمامة، شهوة الإمامة ركبتهم وتسلـطت على عـقـولـهـم، وهذا السلم الذي صنعه ونظمه السلف طويل ، يحتاج إلى همم عالية، وإلى صبر ومصابرة، وهم لا يستطيعون صبراً ، فأرادوا القفز من فوق الجدران :
- من كتب الحديث اختاروا : نيل الأوطار ، وربما سبل السلام .
-ومن كتب الرجال : تقريب التهذيب .
- ومن كتب أصول الفقه : إرشاد الفحول .
وكل هذه المصنفات - إن كنت تعرفها - من أدوات الاجتهاد ، أعني أنها مصنفات تصلح للمجتهدين لا للمبتدئين ، أو المتفقهين الذين كل هممهم الامتثال وإبراء الذمة .
أدلة الأحكام، وكتب الرجال ، وأصول الفقه ، هذه أدوات للمجتهد الذي انتهى من تعلم الأحكام - أي الفقه - ، ومن تعلم العقيدة ، ومن تعلم علوم الوسائل .
وهل تظن أن هـؤلاء المتعجـلـيـن يقرأون هذه الكتب ، ومعظمها للشوكاني - رحمه الله- أو يفهمونها ؟ إنهم مجرد صيادين ، يتصيدون المسائل تصيداً بلا فقه وبلا قريحة صحيحة ، أو ملكة علمية سليمة .
وليتهم سكتوا ، أو أن الأمر كـان ضـرره مقتصراً عليهم ، لكنهم تصدروا للفتوى والترجيح والاجتهاد ، وشرعوا يناقشون الآراء والمذاهب ، ودخلوا في علم الخلاف ، وهو من العلوم التي لا يقوى عليها إلا فحول الـفـقـهـاء، ولما كانت الـقـرائح فجة نيئة لم تـسـتـو بعد فقد عجزوا عن إدراك مغازي الكلام ومراميه، فراحوا يخطئون العـلـمـاء، ويـردون على فحول الأئمة وكبار الفقهاء دون وجل أو أدب .
إن العجلة في العلم، مع سقوط الهمم ، وقلة الجلد ، وعدم الصبر على التلقي ، مع تحكم شهوة طلـب الإمـامـة وحب الرئاسة العلمية الذي تحكم

في القلوب ، وما في ذلك من فساد المقصد ، كل ذلك وفي ظل أصحاب ذلك المسلك العجيب من المعلمين الذي وصفناه بالدعوة إلى الاجتـهـاد (الجفـلى) والذي لا يتاح للمتعلم في ظله تعلم العلم ولا تعلم الأدب كل ذلك أدى إلى هذه الفوضى العلمية وهذا الهزال العلمي الذي عمت البلوى به اليوم .
كنا مع أحد شيوخنا جـلـوسـاً فـي الصحراء قريباً من طريق المسافر إلى الرياض ، وحضرت صلاة المغرب فقمنا نصلي بعد أن أذن أحـدنا ، ومرت (سيارة) بها مسافرون ، فلما أبصروا جماعة الصلاة أوقفوا ركبهم وانضموا إلى الصلاة، وبـعـد فـراغـنـا مـن الـصـلاة قال أحدهم موجهاً كلامه إلى شيخنا المذكور :
ـ أفتني يا مُطوع أنا سائق السيارة (التاكسي) وأنا مستوطن بالمدينة وأهلي بها ، وأنا دائماً مسافر بينها وبين الرياض لا أستقر بحكم عملي ومهنتي يوماً كاملاً في بلد ، ورمضان على الأبواب ، فهل أصوم وأنا مسافر؟.
وقبل أن يتنفس الشيخ ، تعجل واحد منا - وهو مثلنا من تلاميذه - فأفتى السائل بما يأتى :
الأفضل أن تفطر أخذاً بالرخصة، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : »ليس من البر الصيام في السفر« ، فتفطر وتقضي بعد رمضان .
- قال السائل: لكنني مسافر دائماً ، ويثقل على حبس نفسي شهراً كاملاً للقضاء .
-المفتى المتعجل: هذا هو حكم الشرع، الأفضل أن تفطر ثم تحبس نفسك بعد رمضان شهراً للقضاء . والتفت السائل إلى شـيخـنا الـذي كان يتفرج على تلميذه حانقاً ، وقال: أنت يا شيخ ماذا تقول أفتني ؟
قال له الشيخ : تصوم رمضان في وقته لابأس بذلك ، لأنك في حكم المقيم .
وفرح السائل بعد أن سمع هذه الفتوى ، وظهر الارتياح على وجهه وقام منصرفاً وهو يدعو للشيخ كأنما وهبه الشيخ مالاً .
وجادل التلميذ المتعجل شيخه بعد انصراف الركب، فـقـال الـشـيـخ : مـادمـت سـتـلـزمه بالإقامة شـهـراً لـلـقـضـاء فلم لا يكون هذا الشهر هو رمضان ويصومه أداء لا قـضـاء، ثم ما الداعي لإلزامه بالإقامة وحبسه عن طلب الرزق ، وليس في صيام المسافـر لو صـام حـرج ، فكيف وهذا حاله أشبه حال المقيم من جهة أن هذا دأبه دائماً وعادته ، هـو لـيـس شيـئـاً طارئاً عليه .
بل شاهدت مثلاً آخر أعجب من هذا ، كان ممن فرخهم هذا المسلك الذي وصفت آنفاً : رجل من العوام ، كان يعمل بواباً على باب (كلية الشريعة) بالمدينة النبوية ، التي درسنا بها أيام الصبا والشباب ، وكان هذا البواب رجلاً صالحاً محباً لحلقات العلم مداوماً على مجالسة المشايخ ، ولكن دون أن يتفقه ، وإنما هو مستمع فقط .

وكان مما سمعه من بعض المشايخ أهل ذلك المسلك العجيب أن على كل مسلم أن يـجـتـهـد على قدر طاقته في تبليغ العلم ، وأن الشروط التي اشترطها الفقهاء مـا أنـزل الله بـهـا مـن سلطان، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - قال : »بلغوا عني ولو آية«، وفهم صاحبنا من هذا الكلام أن هناك تفويضاً شرعياً لمثله أن يفتي حسب علمه وطاقته ، فجلس بين العوام يُذكِّر ويفتي .
إذا وعظهم ربما أفادهم ، لكنه حين يفتي كان يأتي بالعظائم ، وسمـعـت بذلك فأنكرته في نفـسـي ، فـكـنـت إذا رأيـته على باب (كليتنا) أداعبه ببعض غوامض المـسـائـل، ثم أقول له:يا أبا فلان إياك أن تفتي فتهلك الناس ، فالعلم كما ترى يحتاج إلى التعلم أولاً .
وحضرت يوماً مع صديق لي من طلاب العلم عشاءً في بيت من بيوت البدو القاطنين في شرق المدينة النبوية، وكانت جلسة بدوية، في فناء واسع مكشوف ، وفي ظلمة الليل البهيم ، لا يهتك ستر ذلك الظلام إلا خيوط من ضوء الحطب الذي كان يشتعل وسط حلقة الضيوف ، وعلى جوانبه أدوات (القهوة) ، لكن تلك الأشعة الضئيلة المنبعثة على استحياء من شعلة النار المتصاعدة من حول (دلال الـقـهـوة) لم تكن كافـيـة لأن نتبـين الجالسين ونحن نأخذ مجلسنا بينهم ، إلا أن صوت المتكلم الذي كانوا جميعاً يصـغـون إليه وهو يفتيهم ويجيب على أسئلتهم كان يشبه صوت بواب (كلية الشريعة)... عجباً أبو فلان لا يزال يفتي الناس ؟!.
قال له سائل بدوي :
-أنا يا مطوع إذا كنت ماشياً في أرض منقطة موحشة لا أنيس بها ولا أحـد ولا أثـر لحـياة ولا لأحياء ، ثم وجدت فتاة كلها فتنة جالسة في ذلك الـقـفـر المـوحـش ، واستنجدت بي وطلبت مني أن آخذها معي لأوصلها إلى أهلها فهي ضائعة، وأنا شاب أخشى الفتنة ، ولو أمنت على نفسي الفتنة لم آمن من كلام الناس وتهمتهم لي إن أنا أقبلت بها عليهم . فماذا أفعل ؟ أأتركها فتهلك ، أم آخذها مع خوفي من نفسي وخوفي على نفسـي وطـربـت لـهـذا السؤال، وعجبت من فصاحة هذا البدوي في صياغته وإلقائه مع أن موضوع السؤال يعد من الواقعات التي يصادفها البدو أحياناً ، فهي ليست صورة خيالية ، وقلت في نفسي . الآن نسمع العجائب من فقه بواب (كلية الشريعة) . قال البواب المفتي :
- تتركها ولا تأخذها لأن العلماء قالوا: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .
وضحكـنـا أنا وصديقي من هـذا الـجـواب ، وبـيـنما كان السائل البدوي يناقش هذا المفتي العجيب ، ويراوده عله يغير فتواه كأنما الفتاة التي تصورها في السؤال ملقاة فعلاً في الفلاة تنتظر الفتوى ، قال لي صديقي : لا يحل لنا السكوت .

قلت: يا أبا فلان ، هذه الواقعة فيها دليل من السنة .
فلما سمع صوتي قال: ها.. هنا بعض المشايخ إذن هم أولى بالفتوى مني اسمعوا منهم .
وأكملت تعليقي على فتواه :
لما مر صفوان بن المعطل السلمي ووجد أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في الفلاة، وكان الركب قد مضوا إلى المدينة النبوية وحملوا هودجها ولم ينتبهوا إلى خلوه منها لخفة وزنها، فجلست أم المؤمنين متلفعة بجلبابها حتى مر بها صفوان، فلما رآها وعرفها استرجع، ولكنه لم يتركها، بل أناخ جمله ثم تنحى عنها حتى ركبت، وأخذها إلى المدينة دون أن يلقي بالاً لما يمكن أن يقوله المنافقون ، وفعلاً هذه الواقعة هي التي استغلها المنافقون فرموا أم المؤمنين عائشة بالإفك ، ثم أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات قرآناً يتلى إلى يوم الدين...
فلا يحل إذن للسائل أن يترك تلك الفتاة معرضة للهلاك أو حتى للفساد إذ قد يمر بها فاسق، وذلك من أجل مفسدة متوهمة، بل يتوكل على الله ويأخذها معه ويوصلها إلى أهلها وأجره على الله .

الهوامش :

1- أي حاشية السلطان ، كما بيناه في الحلقة السابقة .
2- تفسير ابن جرير : 3/327.

نقد

قراءة في فكر مالك بن نبي
-6-

محمد العبدة

ذكرنا في الحلقة السابقة رأي مالك بن نبي في الثقافة وكيف توجه ، ونتابع في هذه الحلقة رأيه في توجيه العمل ورأس المال ، والخطوط العريضة للإقلاع الاقتصادي .

أهمية الاقتصاد :

لم يعد الاقتصاد في العصر الحديث من الأمور الثانوية، وما كان كذلك في القديم ، ولكن العصر الحديث زاده أهمية وزادت مشاكله حدة بسبب التقارب الجغرافي ، وظهور مذاهب الرأسمالية والاشتراكية التي جعلته من المحاور الرئيسية في حياتها،وبسبب جشع الغرب ومحاولته إبقاء دول العالم الثالث مستهلكة لإنتاجه "فأوربا التي تكتلت في القرن الحادي عشر من أجل الزحف الصليبي وتكتلت في القرن التاسع عشر في الميثاق الاستعماري، تعود اليوم

إلـى تكـتل جديد في صورة (السوق المشتركة) في الظاهر من أجل الصمود فـي وجـه الاقتصاد الأمريكي والياباني وفـي الواقع من أجل الزحف الاقتصادي على مناطق الحضور الأوربي سابقاً (الـعـالـم الـثـالث والإسلامي بوجه خاص) لترسي فيها دعائم وجود أوربي جديد بوسائل الاقتصاد" (1) .

وليس هذا موضع تفصيل نظرة الإسلام إلى الاقتصاد ولـكـن الذي لاشك فيه أن دولة أو أمة تعيش على فتات الموائد والإعانات من القـمـح والدقـيـق والقروض من البنك الدولي ، كيف يتسنى لها الاستقلال السياسي ، وكيف تبقى بعيدة عن ضغوط الشرق والغرب .

كان الطلب على الحاجات قليلاً في الماضي،ولم تقع الشعوب الإسلامية فريسة\ الاستهلاك، وبسبب التخطيط الاقتصادي الفاشل صار الفلاح ينتظر لقمة العيش من أمريـكـا، وقد كـان في السابق مكتفياً هو وأسرته في مزرعته وأرضه "فالعالم الإسلامي يواجه اليوم (حالة إنقاذ) تفرض عليه أن يتخذ قرارات صارمة في المجال الاقتصادي" (2) .

ونحن لا نضخم من دور الاقتصاد ، ولكن ألم يكن كبار الصحابة تجاراً ومزارعين ، ولابد من إعمار الدنيا بالقدر الذي لا تنخرم فيه أمور الدين أو أمور الآخرة ، وكيف يكون المسلم عزيزاً إذا كان جل اعتماده على الكفار .

الاقتصاد اليوم أصبح علماً قائماً بذاته، والظروف الحالية تتطلب تخطيطاً اقتصادياً يناسب حاجات وموارد بلادنا ، وإذا كان الغرب يسخر الاقتصاد للرفاهية والاستغلال ، فلماذا لا يسخره المسلمون للاستقلال ونشر الدعوة والجهاد .

الإقلاع الاقتصادي :

ولأهمية هذا الموضوع كان السؤال المتبادر : كيف ينهض المسلمون اقتصادياً ؟ وكيف يكون لهم اقتصاد مستقل ؟ فالعالم من حولهم في سباق رهيب ، المنتجون في الشمال على محور (واشنطن - طوكيو) يريدون بقاء العالم الآخر (محور: طنجة - جاكرتا) المحطة الرئيسية للاستهلاك، "والمسلم في أول هذا القرن لاهو بالمنتج الذي يرعى حقه ، ولا المستهلك الذي ترعى حاجته، لقد كان أداة عمل مستمر فقط ، ولم يتكون لديه وعي اقتصادي ولا تجربة في عالم اقتصاد غريب عليه بكل مفاهيمه" (3) .

وعندما حاول العالم الإسـلامي النهوض تعثرت خطواته كثيراً ، وفشلت التجارب التي لم تأت عن دراسـة لـواقـع المسلمين الثقافي ، بل أخذت من الشرق أو الغرب كأنها (وصفات) جاهزة لتطبيقها في أرض غير أرضها،قامت صناعات قبل أن توفر الغذاء للعامل في المصنع، واستقدموا الخبير الألماني (شاخت) ليطبق نظرياته في أندونيسيا ، ولكنه فشل لأن تجربته كانت مع الشعب الألماني وليس مع الشعب الأندونيسي .

ومن الناحية النظرية، وعندما يكتب المسلمون عن الاقتصاد يبدو تأثير النظريات الغربية ، فهم يحاولون دائماً إثبات أنه يمكن أن تقوم بنوك دون ربا ، واستثمار دون ربا فكأن قضية المال هي الأساس الأقوى في الاقتصاد ، ولا يعرجون كثيراً على موضوع الإنسان الاجتماعي "فالمعنى الاقتصادي لم يظفـر في ضـمـيـر العالم الإسلامي بـنـفـس النمو الذي ظـفـر بـه فـي الغرب"(4) أو لا يعرجون عـلـى العمل وأهميته "فالعمل وحده هو الذي يخط مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي"(5) "وعندما كان المسلمون الأول يشيدون مسجدهـم الأول بالمـديـنـة، كان هذا أول ساحة للعمل صنعت فيها الحضارة الإسلامية"(6) .

وفي مجتمع ناشئ "فإن كلـمـة أجر تـفـقـد معناهـا، لأن العامل لا علاقة له بصاحب عمل ولكن بجماعة يشاطرها بؤسها ونعماها ، فإعطاء ثلاثة حروف من الأبجدية عمل ، وإزالة الأذى عن الطريق عمل ، وغرس شجرة عمل ، واستغلال أوقات فراغنا في مساعدة الآخرين عمل... وهكذا"(7)..

توجيه رأس المال :

يفرق مالك بن نبي بين مصطـلـحي الـثـروة ورأس المال ، فالأول يستخدمه الفرد في ميدانه الخاص مثل عقاره أو قطيعه أو ورشته "فالثروة لا تسعى لغايتها كقوة مالية مستقلة ، بينما رأس المال ينفصل عن صاحبه ويتـسـع مجاله ليخلق حركة ونشاطاً ، ويوظف الأيدي أينما حل وحـيـثـما ارتحل"(8) فـالـثـروة مال ساكن، ورأس المال مال متحرك، والمـطـلـوب مـن المسلمين توجيه المال في خدمة الاقتصاد الإسلامي "فالقضية ليست في تكديس الثروة ولكن في تحريك المال وتنشيطه ، بتوجيه أموال الأمة البسيطة إلى رأس مال متحرك ينشط الفكر والعمل"(9) وقد نتج عن عدم توجيه (المال) أن "زاد أغنياء المسلمين على فقرائهم في العطل برغم ما يملكون من ثروات، فكـثـيـر مـنـهـم لا يهـتـمـون بـتـولي طفل مسـلم لتربيته تربية علمية"(10) "والأموال تنفق في توافه الأشياء وتترك المشاريع ذات النفع الـعـام كـالمـدارس والمستشفيات إنها مشكلة توجيه رأس المال ، إنها مشكلة نفسية وليست مالية"(11) .

ومع هذه الدعوة إلى توجيه رأس المال إلا أن مالك يحذر الدول "من اختيار مبدأ الـتـنـمـيـة الرأسمالية لأنها تكون كما لو قررت مبدئياً أن تضع عملها من أجل النهوض الاقتصادي في سجن المؤسسات المالية العالمية"(12) بل يرى أن المشكلة لـيـسـت في المال ولكن في تـعـبـئـة الطاقات الاجتماعية ، والرصيد الأساسي هو الإنسان ، "لـو سمح لى أن ألخص وجهة نظر عبّرت عنها منذ ربع قرن لقلت أنه ليس من الضروري (ولا مـن الـممكن) أن يكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي يـنـهـض، وإنما ينهض بالرصيد الذي لا تستـطـيع الأيام أن تنقص من قيمته شيئاً ، الرصيد الذي وضعته العناية الإلهية

بين يديه : الإنسان والتراب والوقت"(13) "إن الاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك وتشييد مصنع فحسب، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان ، وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات"(14) .
وبمثل رأي مالك هذا قال ابن خلدون في مقدمته: "الكسب هو قيمة الأعمال البشرية، والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان ، وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه ((وسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ)) وسخر لكم الأنعام، ويد الإنسان مبـسوطة على العالم"(15) .

الزراعة والصناعة :

إن ظروف العالم الإسلامي تقتضي عندما يريد النهضة الاقتصادية أن يبدأ بالزراعة ، فهي الأساس، وهي التي تمده ببعض المواد الخام، وهي التي تحميه من الضغوط الاستعمارية ، هذا هو رأي مالك بن نبي الذي يكرره كثيراً في كتبه ، يقول :
"والأرض هي الوسيلة المأمونة - كما يقول اليوم الاقتصاديون الذين يدرسون مشاكل العالم الثالث - لضمان (إقلاع) مجتـمـع ما من مرحلة أولية إلى مرحلة ثانوية"(16) "ولكي يصل الاقـتـصـاد إلى مرحلة الـتـصنـيـع فليس له ما يعتمد عليه سوى الزراعة من ناحية والمواد الأولية (الخام) من ناحية أخرى ، وهذان هما ثديا الاقتصاد الإسلامي على العموم"(17).
وتجربة الجزائر هي أكبر مـثـال عـلـى ذلك حين اهتم بالصناعة وأهمل الزراعة ، ووجد الشعب والعمال أن المواد الضرورية للغذاء غير موجودة .
لاشك أن وجهة نـظـر مـالك بـن نـبـي صحيحة بـشـكل عـام، ولا أظنه يعني أنه لابد من استكمال الزراعة حتى نبدأ بالصناعة، ولكن الـزراعة هي الأسـاس، وهذا شـيء طبـيـعـي بالـنسـبـة للعالم الإسلامي، فـضـعـفـه في الزراعة ومحاولة الانـتـفـاش أنه صـناعي جعلته يستجدي أخيراً المواد الغذائية من الغرب .
لم يقدم مالك بن نبي هنا نظرية متكاملة في الاقتصاد ، بل إشارات وخطوط عريضة فقط ، بل نستطيع القول أنه بسط الأشياء أحياناً ، وهي أكثر تعقيداً وخاصة في ظروفنا الحالية . كما أنه وبسبب (السذاجة السياسية) وقع في غلطة كبـيـرة عندما ظن أن مـا قـام بـه قـادة انقلاب (23) يوليو في مصر مما سمي بـ(الإصلاح الزراعـي) سـيـكون خطوة كبيرة في طـريق الإصلاح الاقتصادي ، إن ما قام به هؤلاء لا يعدو أن يكون ارتجالاً وتشنجات نفسـيـة ضد الإقطاع وليس نابعاً عن خطة مدروسة فضلاً عن أن تـكـون خـطـة إسلامية ، وقـد خرجت مصر بعد ذهابهم أضعف اقتصاداً مما كانت عليه يوم جاؤوا ، ولكـن مـالـك الذي عاش في الغرب يفرح بأي خطوة يخطوها أهل المشرق مما يظن أنه من الإصلاح .

لم يعش مالك حتى يـرى انـهـيـار المجتمعات الاشـتـراكـيـة، سواء في الشرق أو في البلاد العربية ، وانهيار الاقتصاد المزيف ، وطبعاً لا تغني الوصفات من الرأسمالية فالأمل هو في المجتمعات الإسلامية التي "تعيد إلى عالم الاقتصاد أخلاقيته ، ويتلافى بذلك الانحرافات الإباحية التي تورطت فيها الرأسمالية ، كما ينجو من ورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان ما يميزه عن الآلات والأشياء" (18) .

الهوامش :

1- مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد / 102 .
2- المصدر السابق / 99 .
3- المسلم في عالم الاقتصاد / 7 .
4- المصدر السابق / 16 .
5- شروط النهضة / 162 .
6- المصدر السابق / 162 .
7- شروط النهضة / 163 .
8-المصدر السابق / 167 .
9- المصدر السابق / 172 .
10- وجهة العالم الإسلامي / 81 .
11- المصدر السابق / 83 .
12- المسلم في عالم الاقتصاد / 72 .
13 - مالك بن نبي. الرشاد والتيه / 60.
14 - المسلم في عالم الاقتصاد / 73.
15 - المقدمة 2 / 905.
16 - مشكلة الأفكار / 40.
17 - المسلم في عالم الاقتصاد / 24.
18- المسلم في عالم الاقتصاد / 85 .

مراجعة في عالم الكتب

قيام وسقوط القوى العظمى (1)

بول كنيدي

عرض وتعليق: طارق عبد الحليم

حين تعيش أمة من الأمم حاضرها وتبني مستقبلها ، وهي ذاهلة عن ماضيها ، معرضة عن تراثها بكل ما تحمله الكلمة من معان ، فإنها تكون كالنبتة التي

اجتثت من فوق الأرض ، وانقطعت عن أصولها ، ففقدت أصالتها وهويتها التي تعينها على البقاء ، لذلك لن تلبث إلا أن تموت .
وحين تغفل أمة عن حاضرها ومستقبلها ، وتكتفي بأن تعيش على ذكريات ماضيها السالف ؛ تجتر أحداثه وتردد ما كان لها به من مجد مؤثل دون أن تستلهمه العبرة لحاضرها ومستقبلها ، ليكون بناؤها مؤسساً على قواعد راسية ، فإنها تكون كمن يُخدع بالسراب حتى يموت ظمأ .
والأمة القوية - أمة الوسط - تصل ماضيها بحاضرها ، وتمهد بهما معاً طريق المستقبل ، من هنا تبرز أهمية علم "التاريخ" الذي يعرض أحداث الماضي كما كانت ، ثم علم "فلسفة التاريخ" الذي يحاول استجلاء السنن الاجتماعية الكامنة وراء تلك الأحداث ، كما يحاول علم الفيزياء أن يستنبط السنن الطبيعية التي سنها الله -سبحانه- لعالم المادة ... ومن هنا كذلك ، تظهر أهمية التعرف على ما يستجد من محاولات في هذا الباب .
من هذا المنطق ، وحرصاً على اطلاع القارئ على ما يستجد من مساهمات بارزة في هذا المجال ، فإننا نقدم - في هذا المقال - كتاباً احتفلت به الدوائر العلمية والثقافية في العالم أجمع ، بل وأشار الكثير منها إلى أنه يعد من أهم الأعمال المتعلقة بالتاريخ السياسي والاقتصادي العالمي في هذا القرن .
والكتاب بالفعل جدير بأن يطلع عليه المسلمون للتعرف على ما يقدمه الغربيون من تفسير للتاريخ الاقتصادي السياسي وما يتوقعونه ، بناء على ذلك التحليل لصورة العالم في العقود القادمة .

أولاً: العرض :

ينقسم الكتاب الذي يقع في 698 صفحة من القطع المتوسط ، إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: الاقتصاد والاستراتيجية في عالم ما قبل التصنيع ، وفي فترة التصنيع ، واليوم وغداً ، هذه الأقسام الثلاثة مقسمة بدورها إلى ثمانية فصول ، سنقوم بعرض محتوياتها في السطور التالية .
في البداية يقرر الكاتب بإيجاز أن القوى النسبية بين الأمم الدائرة في العالم لا تظل ثابتة ، وذلك لاختلاف معدل النمو بين تلك الأمم ، إلى جانب الطفرات التكنولوجية التي تميز مجتمعاً عن الآخر ، ثم يبسط المؤلف نظريته عن ظاهرة بروز قوة دولية جديدة على المسرح العالمي ، واندفاعها لتقهر من حولها ولتحتل مكاناً بارزاً بين بقية القوى العظمى بأنها ترجع إلى ذلك التوازن الدقيق بين القوة "العسكرية" لتلك الأمة وبين قوتها "الاقتصادية". وبشكل أكثر تفصيلاً فإن الانفاق القومي على القوة العسكرية التي تحفظ كيان مجتمع ما يجب أن يتوازن مع ما تنفقه تلك الأمة في سبيل تنمية مواردها الاقتصادية وتقدمها العلمي التكنولوجي ، والخلل في تلك النسبة - لصالح أي الطرفين - هو السبب الرئيسي في اندحار تلك الأمة وأفول نجمها ، إذ لو طف ميزان القوة العسكرية لصالح التقدم العلمي والاقتصادي لصارت الأمة نهباً

للطامعين ومرتعاً للغازين المترصدين لها من كل جانب ، ولو تغلبت آلة الحرب العسكرية على المؤسسات الاقتصادية والعلمية ، وابتلعت قوة الأمة لصالحها ، فإنها لن تلبث وسائلها وأجهزتها العسكرية أن تغدو قديمة أمام ما يستحدث من وسائل متطورة في حوزة الأمم الأخرى ، مما يجعلها تقهر عاجلاً أو آجلاً .
هو إذن ميزان دقيق يتراوح بين القوة العسكرية ودرجة التسلح من ناحية ، وبين القوة الاقتصادية التي تحفظ على الأمة مواردها وتقدمها من ناحية أخرى ، وكلاهما مكمل للآخر ، وكما يقرر المؤلف "آسفاً" فإن القوة لازمة لضمان التقدم والرفاهية ، كما أن التقدم المادي ضروري لحيازة القوة وضمان سيطرتها .
ويرسم الكاتب في الفصل الأول صورة متكاملة للمسرح العالمي حوالي عام 1500 ميلادية ، حيث تركزت القوى العظمى في خمسة مراكز: امبراطورية مينج الصينية ، الامبراطورية العثمانية وتوسعاتها في الهند ، امبراطورية مسكوفي في شمال آسيا ، ودولة تاكوجلوا باليابان.. إلى جانب تلك المجموعة من الدويلات المستقلة المتناحرة في غرب أوربا ، تلك المجموعة التي لم يكن هناك في ذلك الوقت ما يدل أي دلالة على أنها ستحتل المركز القيادي الذي تحتله في عالم هذا القرن ، ولعل أهم ما ميزها عمن حولها من قوى عظمى هو أن تلك القوى كانت تعاني من عيوب السلطة المركزية التي بنيت -كما يرى المؤلف - على أسس فكرية عملية ، نمطية لاتسمح بإبداع أو تغيير ليس فقط في مجال الدين أو المعتقدات بل حتى في المجالات التجارية والعسكرية .
ويرجع الكاتب السبب في تطور أمم أوربا الغربية إلى ذلك التحرر السياسي من وطأة أية سلطة مركزية عليا ، مما جعلها تنمو وتندفع في طريق التقدم دون عوائق ، كذلك بسبب تلك المخاوف التي كانت تسودها من جيرانها ، فإنها قد حققت تطوراً في مجال التسلح بشكل متصاعد ، جعلها تسيطر أخيراً على العالم المتحضر .
وقد قاومت أوربا بالفعل محاولتي السيطرة اللتين هددتا الاستقلالية الأوربية من قبل الأسبان وعائلة هابسبورج النمساوية خلال فترة المائة والخمسين عاماً التالية للقرن السادس عشر ، وكادتا أن توقفا عملية التقدم التي كانت قد بدأت تشق طريقها بالفعل ، كما أوضح الكتاب في فصله الثاني .
أما الفصل الثالث فقد عالج الفترة بين 1660 ــ 1815 م ، حيث أخذت بعض القوى العظمى في الانحدار ، مثل أسبانيا وهولندا ، وظهرت قوى أخرى هي: انجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا ؛ تلك القوى التي حكمت حركة العالم خلال القرن الثامن عشر . وقد عزا المؤلف ذلك لحسن إدراك تلك

القوى لما يحتاجه عصرها من سيطرة بحرية ، وحيازتها لأساطيل هائلة تجوب البحار بحثاً عن الموارد الاقتصادية الجديدة .
وقد أشار الكاتب في الفصل الرابع إلى ذلك التوتر النسبي الذي ساد العالم - خاصة الولايات المتحدة وروسيا في محاولة توحيد الكتلة الجغرافية السياسية لكل من الدولتين - خلال القرن التاسع عشر ، وما مهد لانجلترا أن تحتل موقع الريادة في الاستفادة من الثورة الصناعية ومنجزات عصر البخار للدرجة القصوى سواء على الصعيد الاقتصادي أو العسكري ، وفي هذه الفترة ذاتها تخلفت دول كإيطاليا وفرنسا عن مركز الريادة لتحتله قوى أخرى قد تكون هي الوحيدة التي أُهلت في هذه الفترة لتشق طريقها في سبيل إحراز القوة والسيطرة ؛ وهي ألمانيا إلى جانب الولايات المتحدة وروسيا واليابان خارج نطاق أوربا الغربية .
وقد تميز النصف الأول من القرن العشرين بأنه كرس "عالم القطبين" الشرقي والغربي ، بعد ظهور القوة الأمريكية الهائلة على مسرح السياسة الدولية ، وكذلك دولة روسيا تحت النظام البلشفي . أما ألمانيا فقد أجبرت القوى الكبرى أن تقف في وجهها لتمنعها من تحقيق سيطرة امبراطورية مركزية لم يعد أوانها في عالم القرن العشرين كذلك تميزت تلك الفترة بما أسماه الكاتب "أزمة القوى الوسطى" وهي الدول التي لم تبلغ مدى القوى العظمى في الاقتصاد والقوه ، ولم تنحدر إلى حد التخلف والتبعية كما هو حال "الدول النامية".. وهو موضوع الفصلين الخامس و السادس .
ويلقي الكتاب في فصليه الأخيرين الأضواء على عالم السبعينيات والثمانينيات ، محاولاً التنبؤ بناء على الرؤية التاريخية والمعطيات الحاضرة ، بما عساه يكون صورة للقوى العظمى الآخذة في الظهور والأخرى الآخذة في الانحدار و الأفول .
ويقرر المؤلف أن مركز الثقل العالمي يتحرك باتجاه دول منطقة الباسفيك - شرقية وغربية - كاليابان في المقدمة ، وهونج كونج وسنغافورة والصين ، وكذلك الولايات الشرقية الباسيفيكية لأمريكا وكندا ، وهو يؤيد ذلك بإحصائيات عديدة تؤكد أن معدل النمو الاقتصادي لتلك الدول يتجاوز معدلات نمو بقية الدول حتى العظمى منها بدرجة كبيرة ، ويعلل الكاتب ذلك حسب نظريته في التوازن الاقتصادي العسكري بعدم إنفاق تلك الدول على ميزانيات دفاعها ما يخل بذلك التوازن .

ثانياً : التعليق:

وقد قصدنا - بعدما قدمناه من عرض سريع لمادة الكتاب وموضوعه -إلى تقديم بعض الملاحظات ، وإبراز بعض النقاط التي تعين القارئ على استكمال الفائدة منه ، كما تعين قارئ المقال على إعمال الفكر فيما أثرناه ، من خلال عرضنا للموضوع وتعليقنا عليه .

وأول ما نثبته من الملاحظات هو أن الكتاب يعتبر تحليلاً للتاريخ الاقتصادي السياسي ، وليس معالجة لظهور الحضارات وانهيارها كما عالجها المؤرخون أمثال توينبي في دراسته للتاريخ ، وهو أمر لم يدعهِ الكاتب لمؤلفه كما يظهر من عنوانه الجانبي ، والفارق بين النظريتين فارق كبير إذ كافة ما عالجه الكاتب من قوى إنما ينتمي إلى حضارة واحدة ، الحضارة الغربية بوجهيها الشيوعي والرأسمالي اللذين يشتركان في أصل النظرة المادية العلمانية .
أي إن الكتاب قد تركز حول القوى الغربية - أعني الدائرة في حيز الحضارة الغربية الحديثة - بصفتها الغالبة في عالم اليوم ، ولم يلق بالاً لتحليل ما قد ينشأ من قوى خارج محيط الغرب وفي بقاع أخرى من العالم .
والكتاب قد بنيت فكرته الرئيسية على أن التاريخ إنما يصاغ بتأثير القوى العسكرية الاقتصادية ، وأغفل تلك الايديولوجيات التي تصنع تلك القوى وتدفعها للظهور بادئ ذي بدء.. فهو يصور العالم على أنه ساحة صراع اقتصادي مغلف بالصراع المسلح ، ليس إلا... هذه الصورة وإن كانت تبدو صحيحة للنظرة العجلى إلا أنها تتجاوز بعداً أساسياً ، بل البعد الأساسي في صناعة أحداث التاريخ... الفكر والايديولوجية ، خاصة في عالم "القطبين" اللذين ظهرا أساساً نتيجة لايديولوجيات فكرية معينة لا تزال آثارها تحرك العالم وتشكل قالبه الحاضر . وإن التقارب الشرقي الغربي الذي يلحظه المراقب لمجريات السياسة العالمية اليوم لا يجب أن يبرر بأنه تنازل عن عالم المبادئ والايديولوجيات الفكرية ليحل محله عالم المال ، بل إنه أقرب لأن يكون أيديولوجية جديدة يتحرك بها القطبان الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي كل لصالحه ، ثم لا ننسى أن كلا الكتلتين إنما ينتميان لقالب حضاري مادي واحد فما المانع إذن أن يتقاربا حين تدعو الحاجة لذلك ، بل وتلح عليه إلحاحاً !
كذلك فإن الكاتب قد سوغ سبب نهضة دول أوربا الغربية ، وتفوقها على كافة معاصرها من الامبراطوريات المنهارة ، بأنه يعود إلى تلك السلطة المركزية العليا التي كانت سمة مشتركة لتلك الامبراطوريات ، والتي لم تقصر سيطرتها على النواحي الدينية أو الأخلاقية ، بل قد تدخلت حتى في الجوانب الاقتصادية والعسكرية لتحافظ على نمطيها.. وتلك كان غلطتها القاتلة .
والحق أن ذلك التعليل ، وإن كان يحمل حقاً لاشك فيه ، إلا أنه لا يجب أن يحمل على إطلاقه ، فنحن نرى أن أوربا الغربية نفسها تتحرك اليوم نحو إيجاد سلطة مركزية بدرجة ما تتمثل في السوق الأوربية المشتركة ، توحيد العملة الأوربية وغير ذلك من المظاهر ، بل إن القوة العظمى في عالم اليوم ، الولايات المتحدة الأمريكية ، قد نشأت من اتحاد فيدرالي بين ولاياتها التي تتجاوز الخمسين ولاية ، تخضع كلها لسلطة مركزية عليا واحدة ، والأمر كما نراه ليس أمر مبدأ السلطة المركزية في حد ذاتها ، بل هو في خطأ التطبيق ،

الذي يؤدي بأية سلطة مركزية ، حين تفقد القدرة على الرؤية الصحيحة ومتابعة ما يجري حولها بوعي ويقظة ، وحين تقل ثقتها في اتباعها ومنفذيها ، مما يؤدي إلى وأد القوى المبدعة والقدرات البناءة في مهدها ، وإهدار فرص التقدم وإمكانيات التطور لدى الأمم والمجتمعات .

الهوامش :

1- THE RISE AND FALL OF THE GREAT POWERS . Economic change and Military conflict from 1500 - 2000, PAUL KENNED,

والمؤلف بول كندي أستاذ التاريخ بجامعة (بيل) وقد نشرته مؤسسة (هايمان) باللغة الإنجليزية عام 1988 .

من أعلام أهل السنة والجماعة

عبد الله بن المبارك العالم المجاهد (3)

د . محمد بن مطر الزهراني

ثانياً : جهوده في علوم الحديث :

يعتبر ابن المبارك أحد الجهابذة النقاد المعتد بقولهم في الجرح والتعديل . وله اجتهادات في علوم الحديث ومعرفة في عالم الرجال والعلل .

وقد عبر عن ذلك الخليفة هارون الرشيد عندما أتي بأحد الزنادقة ليقتله ، فقال الزنديق: أين أنت من ألف حديث وضعتها ؟ فقال الرشيد : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك ينخلانها ويخرجانها حرفاً حرفاً (1) .

وهذه جملة من أخباره وآرائه في هذا المجال :

- قال الحافظ علي بن المديني : انتهى العلم إلى رجلين : إلى ابن المبارك ثم من بعده إلى يحيى بن معين(2) .
- وقال فضالة النسائي : كنت أجالسهم بالكوفة ، فإذا تشاجروا في الحديث قالوا : مروا بنا إلى هذا الطبيب حتى نسأله -يعنون ابن المبارك - (3) .
- وقال علي بن المديني أيضاً : ابن المبارك أوسع علماً من ابن مهدي ويحيى بن آدم(4).
- وقال الإمام أحمد : لم يكن أحد في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه (5) .
- وقال ابن المبارك -رحمه الله- : في صحيح الحديث شغل عن سقيمه (6) .
- قال عبدان بن عثمان : سمعت ابن المبارك يقول : الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء (7) .

- وعنه أيضاً قال : الذي يطلب دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سُلم (8) .
- وقال ابن المبارك : ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث (9) .
- وقال أيضاً : إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تذكر المحاسن (9) .
- وسئل عبد الله بن المبارك عمن نأخذ ؟ قال : من طلب العلم لله وكان في إسناده أشد ، قد تلقى الرجل ثقة وهو يحدث عن غير ثقة ، وتلقى الرجل غير ثقة وهو يحدث عن ثقة ، ولكن ينبغي أن يكون ثقة عن ثقة (10) .
ما أحوجنا اليوم نحن طلبة العلم إلى هذه الوصية وهذا التوجيه الكريم من الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك ،إنه يرسم منهجاً يجب أن يلتزم به طلبة العلم طول حياتهم .
إن آفة الأخبار رواتها ، وما أقل الثقات في رواة الأخبار في عصرنا وأخص بالذكر طلبة العلم فهم قدرة الأمة وهم المخاطبون بوصية ابن المبارك ، والمفترض فيهم التوثق ، ودقة الفهم وتمحيص الأخبار والنظر فيمن يرويها : في دينه وعقله وضبطه وعدله ، في سيرته واتجاهه الذي يسير عليه في حياته ، لكن الواقع خلاف ذلك ، إذ أن مجتمع طلبة العلم اليوم أصبح في الغالب مرتعاً خصباً للإشاعات والأراجيف التي لا أساس لها من الصحة -وآفتها من مروجيها بينهم- ولا سيما تلك الإشاعات التي تتعلق بسمعة أحدهم ، فإنها تنتشر بينهم انتشار النار في الهشيم أو أسرع .
وكان الأولى بطلبة العلم وعلى وجه أخص من يزعمون أنهم دعاة إلى الخير أن يلتزموا منهج المحدثين في التثبت في الرواية والتمحيص للأخبار والنظر في أحوال الرجال ، فإن ذلك هو الموافق لمنهج الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح ، وهذا المنهج هو منقبة للأمة الإسلامية ، وميزة لها عن سائر الأمم .

ثالثاً: مؤلفاته:

قال الإمام الذهبي : دَوَّن ابن المبارك العلم في الأبواب والفقه وفي الغزو ، والزهد ، والرقائق وغير ذلك(11) .
وهذه جريدة أسماء مؤلفات ابن المبارك التي وقفت عليها فيما اطلعت عليه من المصادر :
1 - تفسير القرآن .
2 - السنن في الفقه .
3 - كتاب التاريخ .
4 -كتاب الزهد ، طبع باسم : كتاب الزهد والرقائق بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .
5 - كتاب البر والصلة .

6 - رقاع الفتاوى .
7 - الرقائق .
8 - الجهاد ، طبع بتحقيق الدكتور نزيه حماد (12) .
9 - الأربعين في الحديث .

رابعاً : في مجال الإنفاق في سبيل الله :

كما كان ابن المبارك جواداً بنفسه في سبيل الله كان أيضاً كريماً جواداً بماله منفقاً في سبيل الله . ولا غرو فقد ورث ذلك من القدوة الحسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الذي وصفه ابن عباس -كما في الحديث الصحيح - بأنه كان أجود من الريح المرسلة ، وأجود ما يكون في رمضان .
وهذه نبذة من أخباره -رحمه الله- في هذا المجال :
- قال الحسن بن شقيق: كان ابن المبارك ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم ، وإنه قال مرة للفضيل بن عياض : لولاك وأصحابك ما اتجرت (13) .
- وقال علي بن الفضيل بن عياض : سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك . أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام ، كيف ذا ؟
فقال ابن المبارك : يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون به وجهي وأكرم به عرضي وأستعين به على طاعة ربي ، ولا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به ، فقال له الفضيل : يا ابن المبارك ما أحسن ذا إذا تمّ ذا(13).
- وبإسناد الخطيب أيضاً إلى حبان بن موسى المروزي قال : عوتب ابن المبارك فيما يفرق من الأموال في البلدان ، ولا يفعل في أهل بلده ، قال : انني اعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث فأحسنوا الطلبة للحديث ، وقد احتاجوا فإن تركناهم ضاع علمهم ، وإن أغنَّاهم بثوا علمهم لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم-،ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم (13).
هكذا يكون الفهم الصحيح لوظيفة المال في الحياة الدنيا ، إنه لصون الوجه والعرض وإعانة طلبة العلم والصالحين والاستعانة به على مرضاة الرب ، هذا هو فهم سلفنا الصالح لوظيفة المال ، فهل يقتدي بهم أرباب الأموال من أثرياء المسلمين اليوم ، فينفقون أموالهم في وجهها الصحيح.
إن الإمام ابن المبارك يرسم لنا بسيرته العملية في ماله منهجاً بيناً واضحاً . إن هذا المنهج ليبين لأرباب الأموال الطريقة الصحيحة لتوزيع صدقاتهم وأموالهم التي ينفقونها في سبيل الله ، في هذا المنهج يبدأ بالإنفاق على من نفعه لدينه ولأمته أكبر ، أولئك هم طلبة العلم العاملون بعلمهم المشتغلون بنشر العلم لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - عن طلب الرزق .
إنه من المؤلم حقاً أن نرى أموالاً كثيرة - تعد بالملايين - تنفق سنوياً من قبل أثرياء المسلمين ثم لا تؤدي هذه الأموال الأثر المطلوب من إنفاقها ، إنها

تنفق دون تخطيط ودون هدف من إنفاقها سوى إرادة أصحابها أداء الحق الشرعي في أموالهم وكفى .
إن أموال اليهود تنفق لتخدم عقيدتهم وهدفهم الذي يسعون من أجل تحقيقه . وأموال الرافضة تنفق لنشر العقيدة الرافضية بين أهل السنة في جميع أنحاء العالم الإسلامي . وأموال النصارى قد أدت دوراً مهماً في تنصير أبناء المسلمين في أفريقيا وآسيا ، أما أموال أثرياء المسلمين فغالبيتها العظمى تنفق ولا تؤدي دوراً مهماً لأنها تنفق بدون وعي وبدون تخطيط ، وغالبها يوضع في غير محله .
إن أعداداً كثيرة من خريجي الجامعات العربية والإسلامية من أبناء المسلمين في أفريقيا وآسيا بحاجة ملحة إلى من ينفق عليهم ليتفرغوا للدعوة إلى الله ونشر العقيدة الصحيحة بين المسلمين وغيرهم في تلك الديار المقفرة من الدعاة إلا من النزر اليسير ، إنهم بحاجة إلى عشرات من أمثال عبد الله بن المبارك ليتفقدوا أحوالهم ويعينوهم على بث العلم لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - لشدة حاجة الأمة إلى علمهم لاسيما وهي تصارع الشرك والخرافة والتنصير والمبادئ الهدامة من علمانية وقاديانية وبهائية ورافضة وباطنية وغيرها .
- عن محمد بن عيسى قال : كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل الرقة في خان فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث ، قال فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب ، وكان مستعجلاً فخرج في النفير ، فلما قفل من غزوته ورجع الرقة سأل عن الشاب ، فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه ، فقال عبد الله : وكم مبلغ الدين ؛ فقالوا : عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يستقصي حتى دُل على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحداً مادام عبد الله حياً ، وقال: إذا أصبحت فاخرج الرجل من الحبس وأدلج عبد الله ، فأخرج الفتى من الحبس وقيل له عبد الله بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك وقد خرج ، فخرج الفتى في إثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة ، فقال: يا فتى إن كنت لم أرك في الخان ؟ قال : نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين ، قال : كيف كان سبب خلاصك ، قال : جاء رجل فقضى ديني ولم أعلم به حتى خرجت من الحبس ، فقال له عبد الله: يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك ، فلم يخبر ذلك الرجل أحداً حتى مات عبد الله (14) .
وهذه منقبة أخرى لهذا العالم المجاهد عبد الله بن المبارك - وما أكثر مناقبه - وهي تفقده لأحوال تلاميذه وقضاؤه حاجاتهم ، وهذه حال كثير من أئمة السلف -يرحمهم الله- ، مع تلاميذهم (15) ، وقدوتهم في ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يتفقد أحوال أصحابه فيقضي حاجاتهم ويعين

فقيرهم ويعود مريضهم... ويعينهم جميعاً على نوائب الحق ، فهل من مشايخنا وعلمائنا اليوم من يفعل ذلك مع تلاميذه؟؟(16) .
كم تخرج على أيديهم في الجامعات الإسلامية من أبناء أفريقيا وآسيا وغيرها ؟ فهل سألوا عنهم بعد تخرجهم ، هل عرفوا شيئاً من أخبارهم ؟!!
إنهم يعانون في بلادهم من الفقر والفاقة ومن اضطهاد طواغيت بلادهم ، كما يعانون من هجوم أعدائهم من مبشرين وقاديانيين ورافضة وعلمانيين ، ولقد شاهدت ذلك بأم عيني أثناء زياراتي لغرب أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، إنهم يحتاجون إلى مديد المساعدة بالمال والنصح والتوجيه والكتب العلمية النافعة ، وهم بحاجة إلى بناء مدارس لأبنائهم ليحفظوا عليهم دينهم وعقيدتهم وليحموهم من مدارس المبشرين والعلمانيين والباطنيين .

من غرر كلامه وشعره :

لقد كان ابن المبارك شاعراً وأديباً كما كان إماماً في الفقه والحديث والتفسير واللغة وغيرها من الفنون ، وكان والده يحفزه على حفظ الشعر وهو صغير ويكافئه على حفظ القصيدة بدرهم ، وكان ابن المبارك شاعراً مجيداً صادق اللهجة فلذلك كان لشعره وقع في النفوس ، لا سيما أنه كان مليئاً بالحكم والمواعظ والنصح .
قال الدكتور نزيه حماد : (وشعر ابن المبارك ليس بالقليل ، غير أنه منثور في بطون مدونات العلم وكتب التراجم وأسفار التاريخ والأدب ، ويحتاج لمن ينقب عنه في مظانه ، ويعرف الناس بيواقيته ودرره ونفيس مكنوناته ، وإنه لمهم حقاً باعتباره يمثل نموذجاً رفيعاً رائعاً من شعر الزهاد الأوائل والمجاهدين الحكماء من السلف الصالح ، فصاحبه قد قضى عمره في الجهاد والرباط والعلم والزهد ، فجاء شعره مرآة صادقة لتلك النفس الإنسانية السامية التي ارتقت في مدارج الكمال وعلت في مراتب الفضيلة ومقامات الإيمان والإحسان . وقد وصف الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء موهبته الشعرية الصادقة بقوله: كان ابن المبارك -رحمه الله- شاعراً محسناً قوالاً بالحق) . اهـ (17) .
ومن شعره ما يلى :قال الذهبي : قال أحمد بن جميل المروزي : قيل لابن المبارك إن إسماعيل بن علية قد ولي القضاء فكتب إليه :

يا جاعل العلم له بازياً يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك فيما مضى في ترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فماذا كذا زل حمار العلم في الطين
لاتبع الدين بدنيا كما يفعل ضلال الرهابين(18)

وعن سلام الخواص قال: أنشدني ابن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلوب ويورثك الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل بدل الدين إلا الملوك وأحبار سوء، ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة يبين لذي العقل إنتانها (19)

وأنشد أبو بكر الآجري لابن المبارك :

اغتنم ركعتين زُلفى إلى الله إذا كنت فارغاً مستريحاً
وإذا ما هممت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه تسبيحاً
فاغتنام السكوت أفضل من خو ض وإن كنت بالكلام فصيحاً (20)

وقال ابن المبارك يمدح حماد بن زيد مع التحذير من المبتدعة :

أيها الطالب علماً إئت حماد بن زيد
فاستفد علماً وحلماً ثم قيده بقيد
لا كـثور وكجهم وكعمرو بن عبيد (21)

وقال يمدح الإمام مالك إمام دار الهجرة :

يأبى الجواب فما يراجع هيبة فالسائلون نواكس الأذقان
هدي الوقار وعز سلطان التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان (22)

وهذه نماذج من كلامه:

* قال ابن المبارك: إن البصراء لا يأمنون من أربع:
- ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع فيه الرب -عز وجل- .
- وعمر قد بقي لا يدري ما فيه من الهلكة .
- وضلالة قد زينت يراها هدى .
- وزيغ قلب ساعة ، فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر .
- وفضل قد أعطي العبد لعله مكر واستدراج (23) .

وقال أبو وهيب المروزي : سألت ابن المبارك: ما الكبر ؟ قال : أن تزدري الناس ، فسألته عن العجب ؟ فقال : أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك ، ولا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب (23) .

قال حبيب الجلاب : سألت ابن المبارك : ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل، قلت: فإن لم يكن ؟ قال: حسن أدب ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : أخ شقيق يستشيره، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل ، قلت: فإن لم يكن ؟ قال:موت عاجل (24).

مكانة ابن المبارك واهتمامه بإخوانه العلماء :

- قال أبو أسامة : كان ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس (25) .

- وعن أشعث بن شعبة المصيصي قال : قدم هارون الرشيد الرقة ، فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال ، وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين الرشيد من برج من قصر الخشب ، فلما رأت الناس قالت . ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خرسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك ، فقالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان (26) .
- أخرج الخطيب البغدادي بإسناده إلى الحمادين (27) قالا: كان عبد الله ابن المبارك يتجر في البز ، وكان يقول لولا خمسة ما اتجرت ، فقيل له من الخمسة يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ومحمد بن السماك وإسماعيل بن علية . قالا : وكان يخرج فيتجر إلى خراسان فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج والباقي يصل به إخوانه الخمسة ، قالا: وقدم سنة ، فقيل له قد ولي ابن علية القضاء ، فلم يأته ولم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قدم فركب إليه فتنكس على رأسه ، فلم يرفع به عبد الله رأساً ولم يكلمه فانصرف ، فلما كان من غد كتب إليه رقعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، أسعدك الله بطاعته ، وتولاك بحفظه ، وحاطك بحياطته قد كنت منتظراً لبرك وصلتك أتبرك بها وجئت أمس فلم تكلمني ورأيتك واجداً علي ، فأي شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه ؟
فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس ، وقال : يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا ، ثم كتب إليه :
بسم الله الرحمن الرحيم
يا جاعل العلم له بازياً يصطاد أموال المساكين
إلى آخر الأبيات وقد سبق ذكرها كاملة في الكلام عن شعره ، فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء ، فوطئ بساط هارون الرشيد وقال : يا أمير المؤمنين ، ألله الله ، ارحم شيبتي ، فإني لا أصبر للخطأ ، فقال له هارون : لعل هذا المجنون أغرى عليك ؟ فقال: الله الله أنقذني أنقذك الله ، فأعفاه من القضاء ، فلما اتصل بعبد الله وجه إليه بالصرة (28) (*)..

دروس وعبر

ونختم هذا البحث ببعض الدروس والعبر من تلك السيرة العطرة لهذا الإمام المجاهد والعالم الرباني -رحمه الله ورضي عنه- :
أولاً : إن العالم المسلم يجب أن يعيش لدينه وأمته ونشر العقيدة الصحيحة بين الأمة وأن يبذل في سبيل ذلك كل ما يستطيعه من نفس ونفيس وغالٍ وثمين ، وهذا ما عبر به عبد الرحمن بن مهدي عندما وصف ابن المبارك بأنه كان أنصح علماء الأمة للأمة .

ثانياً : الفهم الصحيح للزهد هو ترك ما بأيدي الناس والرغبة فيما عند الله ، وأن طلب المال لصون العرض والاستعانة على طاعة الرب وإعانة طلبة العلم والصالحين لا ينافي الزهد .
وهذا الفهم جسده الإمام ابن المبارك في حياته العملية وفي قوله عندما عاتبه الفضيل بن عياض على أمره لهم بالزهد والتقلل مع اشتغاله بالتجارة فقال : إنما أفعل ذا لأصون به وجهي وأكرم به عرضي وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به ، فقال الفضيل : ما أحسن ذا إن تم ذا .
ومن ذلك نفهم أن زهد الصوفية الداعي إلى الكسل والخمول وتعطيل الحياة ليس صحيحاً ، بل هو خلاف فهم السلف الصالح للزهد وخلاف ما أراده الشارع من المؤمنين .
ثالثاً: إن مهمة العالم المسلم ليست منحصرة في تعليم الناس العلم وتلقينهم الأحكام ، وتحفيظهم المتون بل إن مهمته أوسع من ذلك ، إنه القدوة العملية لمن يربيهم ويعلمهم الفهم الصحيح لطلب العلم والعمل به ، والفهم الصحيح لوظيفة المال في الحياة الدنيا ، والمعنى السليم للزهد .
فهو إلى جانب تعليمهم يتفقد أحوالهم وينفق عليهم ويوجههم توجيهاً عملياً فلا يعلمهم أحكام الجهاد وهو قاعد متخلف مع القاعدين ، ولا يعلمهم سُبل الانفاق وهو مقتر بخيل أو فقير عاطل ، ولا يعلمهم التواضع وسعة الأفق وهو متكبر غليظ القلب ضيق الأفق .
رابعاً: تلك المكانة التي كان يحتلها علماؤنا من السلف الصالح بين الأمة ، إنها مكانة عالية مكانها القلوب والأرواح ، مكانة لا يبلغها أرباب المال والجاه المتسلطون على الأمة بالقوة والقهر والذين غالباً ما تكون محبتهم مصحوبة بالرياء والمداهنة ، وأصدق تعبير عن هذه المكانة لأئمتنا من السلف الصالح أمران :
الأول: ما قاتله أم ولد لهارون الرشيد عندما رأت بأم عينها مكانة الإمام عبد الله بن المبارك في قلوب ونفوس الأمة ، فانطلق لسانها معبراً عن تلك المكانة:.. هذا والله الملك لا ملك هارون الرشيد الذي لا يجمع الناس إلى بشرط وأعوان أو ترغيب وترهيب...
هذه المكانة لم يكن لينالها علماؤنا لو أن أعمالهم كانت تناقض أقوالهم أو كانوا يؤثرون الدعة والراحة على التعب والنصب أو كانوا يؤثرون أنفسهم بالرفاه والعافية عن باقي الأمة .
خامساً : إن لسلفنا الصالح منهجاً في طلب العلم يتدرج فيه حتى يبلغ درجة الاجتهاد ولا يتجاوز الطالب مرحلة من تلك المراحل إلى التي تليها حتى يتقن المرحلة السابقة وقد أوجز ابن المبارك المبادئ الأساسية لهذا المنهج فقال :

أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم العمل ثم الحفظ ثم النشر . وقال: كانوا يطلبون الأدب ثم العلم .
سادساً : العناية بالنابغين والأذكياء من طلبة العلم والعمل على تفرغهم لطلب العلم وتعليمه للأمة ومساعدتهم بما يحتاجون من المال وغيره .
هذا ما فعله ابن المبارك مع النابغين من طلبة العلم في عصره ومن قبله فعله شيخه أبو حنيفة -رحمه الله- مع بعض تلاميذه النابهين .
هذا ما يسر الله لي أن أكتبه عن ابن المبارك وأسأله -سبحانه- أن يرزقنا العلم النافع وأن ينفعنا بما علمنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش :

1- تذكر الحفاظ 1 / 273 .
2 - تاريخ بغداد 10 / 164 .
3 - سير أعلام النبلاء 8 / 357 .
4- تاريخ بغداد 10 / 164 .
5 - سير أعلام النبلاء 8 / 351 .
6 - المصدر السابق 8 / 357 .
7 - مقدمة صحيح مسلم 1 / 15 .
8 - الكفاية للخطيب البغدادي / 292 .
9 - سير أعلام النبلاء 8 / 352 - 353.
10 - تذكرة الحفاظ 1/ 277 .
11- تذكرة الحفاظ 1 / 275 .
12 - قدم له الدكتور نزيه بمقدمة عن حياة ابن المبارك جيدة ، وقد استفدت منها في هذا البحث كثيراً ، فجزاه الله عني خيراً .
13 - تاريخ بغداد 10 / 159 - 160 ، ط السلفية بالمدينة النبوية .
14 - تاريخ بغداد 10 / 159.
15- انظر ما كتبه ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم ، الباب الثاني ، الفصل الثالث، وخاصة النوع الثالث عشر منه .
16- لا يفوتني أن أنوه هنا بجهود سماحة شيخنا الفاضل عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله وبارك فيما بقي من عمره ، فهو من بقية السلف الصالح ، له جهود طيبة في هذا المجال ، رأينا آثارها في أفريقيا حيث يرعى كثيراً من خريجي الجامعة الإسلامية ـ بالمدينة النبوية ــ بإعانتهم من ماله الخاص ، ومما يجمعه من المحسنين ، أسأل الله له دوام التوفيق إلى كل ما فيه خير الإسلام والمسلمين .
17- مقدمة كتاب الجهاد لابن المبارك / 25 .
18 - تاريخ بغداد 6 / 236 ، سير أعلام النبلاء 8 / 363 - 364 وسأذكر فيما بعد قصة هذه الأبيات .

19 - جامع بيان العلم وفضله 1 / 165
20 - سير أعلام النبلاء 8 / 368 .
21 - تاريخ بغداد 6 / 29 ، جامع بيان العلم وفضله 1 / 127 .
22 - العقد الفريد 2 / 221 .
23 - سير أعلام النبلاء 8 / 359 ، وهي هكذا في السير وغيره "خمس"، وليس أربع .
24 - المصدر السابق 8 / 352.
25 - تاريخ بغداد 10 / 156 ، سير أعلام النبلاء 8 / 340 .
26- تاريخ بغداد 10 / 156 ، سير أعلام النبلاء 8/ 340 .
27 - حماد بن زيد بن درهم ، وحماد بن سلمة بن دينار إمامان مشهوران .
28- تاريخ بغداد 6/ 245 - 236 .
*- هذه النصوص وأمثالها في فرار أئمة السلف من تولي القضاء والتحريض على تركه محمولة على أمرين:
أ - علمهم بوجود من يقوم به .
ب - تركه ورعاً وحيطة لدينهم .
أما إذا ترتب على ذلك خلو القضاء ممن يقوم به أو تسلط الكفرة أو الفجرة علية فتفسد مصالح الناس وتعطل أحكام الشريعة فلا ، ولا يفهم من ذلك أنهم يحرصون على اعتزال المجتمع والحياة كما يفعل دراويش الصوفية وخوارج هذا العصر .

في الولاء والبراء

هجر المبتدع
(5)

الشيخ بكر أبو زيد

المبحث الثامن
الضوابط الشرعية للهجر

هذا بيان (لميزان الشرع في الهجر) وهـو مـن أهـم أبحـاث هذا الواجب الشرعي ، وعليه : فإذا علـمـنـا أن الـزجــر بالهـجــر للمبتدع حتى يتوب إلى الله تعالى، قد قامت عليه أدلة بخصوصه، وأنه من أولى مفردات قاعدة الشريعة المطردة (الولاء والبراء) أي الحب والبغض في الله تعالى .
وعلمنا أيضاً: أن المقصود بالهجر: زجر المهجور ، وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ، إلى آخر مقاصد الإسلام من مشروعية الهجر كما تقدم .

وأن الهجر الشرعي لحق الله تعالى (عبادة) من جنس الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعبادة لابد من توفر ركنيها: الإخلاص، والمتابعة، أي بأن يكون الهجر (خالصاً صواباً) خالصاً لله ، صواباً وفق السنة، وأن (هوى النفس) ينقض ركنية (الإخلاص) ، كما أن ركن المتابعة ينقضه (عدم موافقة الهجر للمأمور به) .
إذا تقرر جميع ذلك: فـلـيـعـلـم أن الشرع الشريف يزن الواقعات والأحوال الداخلة تحت قاعدته العامة (الولاء والبراء) بميزان قسط، وقسطاس مـسـتـقـيـم، وسـطاً عدلاً بين جانبي الإفراط والتفريط ، فلا تزيد عن حدها ولا تنقص عنه، فتلتقي العفوية للمبتدع بالهجر مع مقدار بدعته باعتبارات مختلفة، ومـا يحـف بـذلك مـن أحــوال تـنـزل على قاعدة رعاية المصالح وتكثيرها ، ودرء المفاسد وتقليلها ، فنقول إذاً :
الأصل في الشرع هو : هجر المبتدع لكن ليس عاماً في كل حال ومن كل إنسان ولكل مبتدع. وتـرك الهـجــر والإعراض عنه بالكلية ، تفريط على أي حال ، وهـجـر لـهـذا الـواجـب الشرعي المعلوم وجوبه بالنص، والإجماع، وأن مـشـروعـيـة الهـجـر هي في دائرة ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد،وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها واختلاف مبتدعها واختلاف أحوال الهاجرين، واختلاف المكان والقوة والضعف ، والقلة والكثرة، وهكذا من وجوه الاختلاف والاعتبار التي يرعاها الشرع وميزانها للمسلم الذي به تنضبط المشروعية هو:مدى تحقق المقاصد الشرعية من الهجر:من الزجر،والتأديب،ورجوع العامة ، وتحجيم المبتدع وبدعته وضمان السنة من شائبة البدعة..
هذا محصل الضوابط الشرعية للهجر (1) ، لكن ليحذر كل مسلم من توظيف (هوى نفسه) وتأمير (حظوظها) على نفسه ، فإن هذا هلكة في الحق ، وهو شر ممن يترك الهجر عصياناً لأنه يعصي الله تعالى بترك الهجر الشرعي للمبتدع ، وإظهاره ترك الـهـجـر باســم الشرع تحت غطاء وهمي باسم (المصلحة) و (تأليف القلوب) وهـكـذا ، فـالـتـزام الهـجـر الشرعي للمبتدع بضوابطه الشرعية لاغير . وعلى هذا التأصيل تتنزل كلمات الأئمة كالإمـام أحـمـد وغيره .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في المسلك الحق في الهجر :
"فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً ، فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به ، فلا يجب ولا يستحب ، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات .
وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية ، بـل تركوها ترك المعرض لاترك المنتهي الكاره ، أو وقعوا فيها ، وقد يتركونها ترك المنـتـهـي الكاره، ولا ينهون عنها غيرهم، ولا يعاقبون بالهجرة

ونحوها من يستحق العقوبة عليها ، فيكونون قد ضيعوا من النـهـي عن المنكر ما أمروا به إيجاباً أو استحباباً ، فهم بـيـن فـعل المنكر أو ترك المنهي عنه ، وذلك فعل ما نهوا عنه وترك ما أمروا به ، فهذا هذا ، ودين الله وسط بين المغالي فيه والجافي عنه ، والله سبحانه أعلم "(2).

فباعتبار اختلاف مرتبة البدعة من الإثم هو من عدة جهات (3) :

من جهة كونها كفراً أو غير كفر

فالمكفرة مثل: البابية ، والبهائية ، والقاديانية ، وغلاة البريلوية .

وغير المكفرة مثل عامة البدع في العبادات حقيقية كانت أو إضافية .

ومن جهة كون صاحبها مستتراً بها أو معلناً لها

ففرق بين المعلن لبدعته الداعي لها ، وبين الكاتم لها لأن الداعية ، والمعلن لها ، أظهرها فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم فإنه ليس شراً من المنافـقـيـن الذين كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، هذا وهم في الدرك الأسفل من النار (4).

ومن جهة كونها حقيقية أو إضافية

فالبدعة الحقيقية هي: البدعة التعبدية المحدثة استقلالاً كصلاة الرغائب، وليست بدعة إضافية، ومثل القول بالقدر، وصـلاة الألـفـيـة لـيـلـة النصف من شعبان، وبدعة المـوالـد، والأعياد الحكومية ، وعيد غدير خم لدى الشيعة ، وهكذا.

والبدعة الإضافية: هي الأمر المبتدع مضافاُ إلى ما هو مشروع أصلاً بزيادة أو نقص، مثاله :

الدعاء الجماعي بعد الصلاة، فـالـدعـاء مـشـروع وجعـلـه جماعياً بدعة مضافة لم يرد بها النص، وبناء العبادات على الـتوقـيـف، وسـجـود الـشـكـر جماعة، واتخاذ التبليغ خلف الإمام سنة راتبة مع عدم الحاجة إليه ، وهكذا .

ومن جهة كونها بينة أو مشكلة، أي كـونها ظاهرة المأخذ فهي بدعة متمحضة كبدع المآتم والموالد ، وصلاة الرغائب...

أو بدعة فيها احتمال لا ستشباه مأخذها ، مثاله : القنوت في صلاتي العشاء والصبح فإنه كان ثم نسخ وبقي المشروع فيها عند النوازل ، وشبهة الخلاف لا تصيره مشروعاً راتباً .

والحقيقة أن هذا الوجه: صوري لا حقيقي إذ البدع مشكلة المأخذ يلحق بها من الإشاعة والتعصب ما يجعلها بينة ، والله أعلم (5).

ومن جهة اجتهاده فيها أو كونه مقلداً

فالمجتهد مفترع للبدعة ، فالزيغ أمكن في قلبه من المقلد ، وإن كان كل منهما موزوراً لكن أثم من سن سنة سيئة أعظم وزراً ، والله أعلم (6) .

ومن جهة الإصرار عليها أو عدمه

أما الإصرار عليها فيجعلها من باب: الدعوة إليها فيكون داعـيـة معـلـناً لـهـا، وأمـا عـدم الإصرار فهو من باب كونها: فلتة ، وزلة عالم ، إذا كانت منه ثم لم يعاودها (7) .
ويختلف باختلاف حال المبتدع وما فيه من خير وشر : "وإذا اجتمع فـي الـرجـل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبـدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحـسـب ما فـيـه من الـشـر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانـة، فـيجـتمـع له من هـذا وهـذا، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال مـا يكـفـيـه لحاجته ، هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة و الجماعة..."(8) .
وفرق بين عالم تشربت نفسه بالبدع، لكنه لم يختلط بعلماء أهل السنة ولم يتـلـق عـنـهـم، وبين عالم تلقى عن المبتدعة فنالت منه منالاً ، ثم خالط أهل السنة وعلماءهم وجاورهم مدة بمثلها يحصل برد اليقين بل يكون عاشرهم عشرات السنـيـن ، ثم هو يـبـقـى على مشاربه البدعية يعملها، ويدعو إليها، ويصر عليها، فهذا قامت عليه الحجة أكثر، واستبانت له المحجة فما أبصر . فهو من أعظم خلق الله فجوراً ، وغيضاً على أهل السنة.
فالأول في تأليف قلبه وتودده للرجوع إلى السنة مجال ، أما الثاني : فلا والله ، بل يتعين هجره ، ومنابذته وإبعاده ، وإنزال العقوبات الشرعية للمبتدعة عليه ، وأن يـُهجر مـيـتـاً كما هُجر حياً فلا يصلي أهل الخير عليه ، ولا يشيعون جنازته .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في حق بعض العصاة المظهرين لفجـورهـم :
"وأما إذا أظهر الرجل المنكرات ، وجب الإنكار عليه علانية ، ولم يبق له غيبة ، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره ، فلا يسلم علـيـه ، ولا يـرد عـلـيـه السلام ، إذا كان الفاعل لذلك متمكناً من ذلك من غير مفسدة راجحة .
وينبغي لأهل الخير والدين أن يهجروه ميتاً ، كما هجروه حياً ، إذا كـان فـي ذلـك كـف لأمثاله من المجرمين فيتركون تشييع جنازته ، كما ترك النبى - صلى الله عليه وسلـم - على غير واحد من أهل الجرائم ، وكما قيل لسمرة ابن جندب : إن ابنك مات البارحة ، فقال : لو مات لم أصل عليه ، يعني لأنه أعان على قتل نفسه ، فيكون كقاتل نـفـسـه ، وقد ترك النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة على قاتل نفسه . وكذلك هجر الصحابة الثلاثة الذين ظهر ذنبهم في ترك الجهاد الواجب حـتى تـاب الله علـيهـم ، فـإذا أظـهـر التوبة أظهر له الخير..." (9) .

وفرق في حال المهجور : بين القوي في الدين وبين الضـعـيف فيه ، فإن القوي يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف في الدين كما في قصة كعب بن مـالـك وصاحبيه -رضي الله عنهم- (10).
وكذلك بالنسبة للأماكن : ففرق بين الأماكن التي كـثـرت فـيـهـا الـبـدع، كمـا كثر القدر بالبصرة ، والتنجيم بخراسان ، والتشيع بالكوفة ، وبين ما ليس كذلك .
وهـذا على ما أفـتـى بـه الأئـمـة أحمـد وغـيره بناء عـلى هـذا الأصـل: رعـايـة المـصـالـح الشرعية.(11)
"ويختلف باختلاف الهاجرين أنفسهم في قوتهم وضعفهم وقلتهم و كثرتهم" (12) .
فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانـت مشـروعـية هجر المبتدع قائمة على أصلها ، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة - ولا حول ولا قوة إلا بـالله - فـلا المـبـتـدع ولا غـيـره يرتدع بالهجر ولا يحصل المقصود الشرعي، لم يشرع الهجر وكان مسلك التأليف ، خشية زيادة الشر .
وهذا كحال المشروع مع العدو "القتال تارة، والمهادنة تارة، وأخذ الجزية تارة، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح" (13) .
ومن أهم المهمات هنا : إذا كانت الواجبات لدى أهل السنة مثل : التعليم ، و الجهاد ، و الطب، والهندسة، ونحوها متعذر إقامتها إلا بواسطـتـهـم، فـإنـه يـعـمـل على تحصـيل مصلحة الجهاد ، ومصلحة التعليم وهكذا ، مع الحذر من بدعته ، واتقاء الفتنة به وبـها ما أمكن، وبقدر الضرورة، فإذا زالت عاد أهل السنة إلى الأصل في الهجر ، وأبعد لمبتدع .
قال شيخ الإسلام ابن تـيـمـيـة -رحمه الله تعالى- في جـوابه المحرر في الهجر المشروع :
".. فإذا لعذر إقـامـة الواجبات من العـلـم والجهاد وغـيـر ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب : كان تحصيل مصلحة الواجـب مع مـفـسـدة مرجوحة معه خيراً من العكس ، ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل" (14) .
هذا وإن الناظر في أحوال المبتدعة من وجه ما هم عليه من الشناعات، وإمـاتـة الســنـن ، والنشاط في غير هدى والنصرة لغير حق ، وأنهم يفسدون على أهل الـسـنة صفاء الإسلام ، رآهم مستحقين لما قاله الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- في أهل الكلام :
"حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في الـقـبـائـل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على الكلام".

"وإذا نظرت إلى المبتدعة بعين القدر، والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ، وترفقت بهم ، أوتـوا ذكـاءً وما أوتوا زكاءً ، وأعطوا فهوماً وما أعطوا علوماً ، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ((فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ ولا أَبْصَارُهُمْ ولا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))"(15) .
وختاماً : احذر المبتدع، واحذر بدعته، وأعمل الولاء والبراء معه، وتقرب إلى الله بذلك ، وبهجره الهجر الشرعي منزلاً له على قواعد الشـريـعـة وأصـولـهـا في رعاية المصالح ودفع المفاسد ، وإياك ثم إياك من تأمير الهوى هجراً أو تركاً ، والسلام .

المبحث التاسع

عقوبة من والى المبتدعة

كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق فالساكت عن الحق شيطان أخـرس كـمـا قال أبو علي الدقاق (م سنة 406 هـ) -رحمه الله تعالى-(16) .
وقد شدد الأئمة النكير على من ناقض أصل الاعتقاد فترك هجر المبتدعة ، وفي معرض رد شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- على (الاتحادية) قال (17) :
"ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم ، أو ذب عنهم ، أو أثـنى عليهم ، أو عظم كتبهم ، أو عرف بمساعدتهم أو معاونتهم ، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو ؟ أو من قال : إنه صنف هذا الكتاب ؟ وأمثال هذه المـعـاذيـر، الـتـي لا يـقـولها إلا جاهل أو منافق بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ، ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات ، لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المـشـايـخ والعـلـماء والملوك والأمراء ، وهم يسعون في الأرض فساداً ويصدون عن سبيل الله...(18)".
فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية وسقاه من سلسبيل الجنة آمين، فإن هذا الكلام في غاية الدقة والأهمية وهو وإن كان في خصوص مظاهرة (الاتحادية) لكنه ينـتظم جميع المبتدعة ، فكل من ظاهر مبتدعاً فعظمه أو عظم كتبه ، ونشرها بين المسلمين ، ونفخ به وبها ، وأشاع ما فيها من بدع وضلال ، ولم يكشفه فيما لديه من زيغ واختلال في الاعتقاد ، إن من فعل ذلك فهو مفرط في أمره ، واجب قطع شره لئلا يتعدى إلى المسلمين.
وقد ابتلينا بهذا الزمان بأقوام على هذا المنوال يعظمـون المبتدعة ويـنشـرون مقالاتهم ، ولا يحذرون من سقطاتهم وما هم عليه من الضلال، فاحذر أبا الجهل المبتدع هذا ، نعوذ بالله من الشقاء وأهله .

المبحث العاشر

إشاعة البدعة

نصيحتي لكل مسلم سلم من فـتـنـة الشبـهـات في الاعـتـقـاد، أن البدعة إذا كانت مقموعة خافتة والمبتدع إذا كان منقمعاً مكسور النـفـس بكـبـت بدعـتـه فلا يحرك النفوس بتحريك المبتدع وبدعته ؛ فإنها إذا حركت نمت وظهرت ، وهذا أمـر جبلـت عليه النفوس ، ومنه في الخير : أن النفوس تتحرك إلى الحج إذا ذكر الحـجـاز ، وعـرصات الوحي ، ومواطن التنزيل... وفي الشر : إذا ذكرت النساء والتغزل والـتـشـبـيـب بـهـن تـحركت النفوس إلى الفواحش . وهذا الكتمان والإعراض من باب المجاهدة والجهاد فكما يكون الحق في الكلام فإنه يكون في السكوت والإعراض ، والله أعلم .

الهوامش :

1- وهذا طرد لقاعدة الشريعة في العقوبة على قدر الجرم كما في تنوع عقوبات المحاربين لتنوع أحوالهم ، والفرق بين عقوبة السارق والمغتصب ، والفرق بين عقوبة الزاني المحصن وغير المحصن ، وهكذا في سائر العقوبات الشرعية يقدر الجرم وما يحف به من أحوال .
2- الفتاوى 28 / 213 ، وانظر منه: ص / 6 0 2 .
3- انظر بسط هذه الجهات الست في : الاعتصام للشاطبي -رحمه الله تعالى- 1 / 167 - 174 .
4- الفتاوى 24 / 175 ، 28 ، / 205 .
5- انظر الاعتصام 1 / 172 - 173 .
6- وانظر الاعتصام 1 / 167 - 168 .
7- وانظر الاعتصام 1/ 174 .
8- الفتاوى 28 / 209 ، وانظر ص / 228 ، بأبسط من هذا .
9- رواه أحمد في : الزهد .
10- الفتاوى 28 / 217 - 218 .
11- انظر : فتح الباري 8/ 123 ، كتاب المغازي .
12- الفتاوى 28 / 206 -207، وانظر ص / 212 - 213 فهو مهم .
13- الفتاوى 28 /206 .
14- الفتاوى 28 / 212 .
15- الفتاوى 5 / 119 .
16- شذرات الذهب 3 / 80 ، وفيات سنة 406هـ.
17- الفتاوى 2 / 132.
18- انظر الفتاوى 14 / 463 - 468 ، مهم 28 / 215 ، 28 / 217 ، مهم كالقاعة هنا.

أدب وتاريخ - قصة قصيرة

و استقام ربان الأسرة

أم أسامة خولة درويش

تمد "فاتن" يدها المرتعشة لترفع (مظروفاً) وجدته قد وضع تحت الباب وتنظر إليه بدهشة وحيرة مربكة ، إنه لزوجها الدكتور (عبد الحميد) وبعنوانه ، ثم تعطيه له بصمت ينبئ عما يدور في نفسها من تساؤلات...

ينظر الدكتور للمظروف ، وقد انقبضت أسارير وجهه ، ويقول : غير معقول ، نفس عنواننا ، وباسمي أيضاً !.

ويفض الغلاف ، ويتمتم قائلاً في دهشة :

- عجباً ، إنه من ابني سامر !.

ويغوص في خواطره المبهمة :

كيف اهتدى سامر إلى منزلي هذا ؟... لقد مضى على زواجي من (فاتن) خمس سنوات وما عرّفت أحداً به...

خواطر كثيرة .

- وهل تزوجت إلا من أجل الراحة والاستجمام ؟! ثم يقول باستغراب :

- وماذا يريد سامر ؟! لقد كنت في منزلهم أمس ، أخذت لهم حاجتهم من الطعام والأدوات المدرسية!!

ولا يعير (د. عبد الحميد) كلام زوجته أي انتباه ، إنه مشغول بالرسالة انشغالها بسرية بيتها وعدم معرفة العنوان حتى من أولاد زوجها !

وتدافعت الخواطر السريعة إلى (د. عبد الحميد) حالما رأى رسالة (سامر) :

- هل ألم بأحد إخوته خطر ؟

-أم هل يريد تحديد موعد خطبة أخته "سلمى" ؟!

-أم أن صاحب البيت قد طالبهم بأجرته ؟!.

وفي بضع دقائق كانت الحقيقة تتضح وتظهر جلية بعد قراءة الرسالة ، فقد جاء فيها :

والدي الحبيب :

كم أبهجتنا زيارتك لبيتنا أمس ، وكم سررت لسماع صوتك العذب يتردد صداه في منزلنا ، وغبطت أشقائي الصغار أنك ناجيتهم ، ثم سارعت للخروج من الحمام متلهفاً لرؤيتك ، وإذا بي أجد البيت قد امتلاء طعاماً ، وأشياء كثيرة - جزاك الله خيراً - .

ولكني للأسف ما وجدتك ، فقد وضعتها وغادرت المنزل بسبب أشغالك الكثيرة - كما ذكرت والدتي حفظها الله -.

كم كنت أتمنى أن تخصص لنا من وقتك ، وأن تجعل لنا نصيباً من يومك لنحظى برؤيتك ، ونستمتع بحلو حديثك ، وجميل نصحك - لا حرمنا الله منك - ولا أكتمك أني ما إن رأيت الطعام الوفير إلا وقلت في نفسي :
- يا سبحان الله ! وهل يظن والدي أن السعادة في الطعام الوفير ، والمتاع الزائل ؟!.
يا والدي العزيز : سامحك الله ! إن الأغنام - وهي لا تهتم إلا بأكلها وشربها - يتفقدها صاحبها باستمرار .
أتمنى أن نلقاك قريباً ، أباً رؤوفاً كما كنا نعهدك من قبل . ونحن لن ننسى يا والدي الحبيب حقوقك علينا ، وارتباطك السعيد الذي حجبته عنا سنوات عدة . لن نكون عثرة تحول دون سعادتك ، وسنبقى أبناء بررة . تحياتنا إليك وإلى حرمك المصون . وتحيات والدتنا الوفية إليكما .
و لدك : سامر
تنظر "فاتن" إلى "د. عبد الحميد" وهو يقلب الرسالة وما يزيد عن أن يطويها ويضعها في جيب جلباب النوم الذي كان يلبسه .
وأما "سامر" فكثيراً ما يتحدث مع أمه التي أمضت عمرها تتمنى اليوم الذي ينتهي فيه زوجها "عبد الحميد" من دراسته ، وطال ما أضناها في تأمين الجو الدراسي المناسب له . إنها الآن بعد تخرجه تستعيد الماضي ، تتمنى لو دامت تلك الأيام ، حينما كانت أحوالهم المادية بسيطة ، إلا أنهم كانوا ينعمون بالمودة والاستقرار .
وأما "د. عبد الحميد" فعندما أحس بتحسن مركزه العلمي والاجتماعي ، وأنه قد حصل على شهادة "الدكتوراه" بدأت الأفكار تتوالى عليه :
- إنه في وضع اجتماعي مرموق ، ويحبذ أن تكون زوجته كذلك حتى تستطيع أن تمثله في المجتمع .
- وهذه "المرأة الطيبة الساذجة" كما كان يسميها ، هل يليق بها ذلك ؟!
هاهو سامر ولدها وقد علمته الأحداث ، يفتح قلبه لها ويعاتبها على ما ظنه تقصيراً منها أدى بوالده إلى البحث عن امرأة أخرى ، وبنبرات خافتة حانية قال لها :
- لماذا يا أمي لم تكملي دراستك ؟! وأنت تعلمين أن زماننا زمان العلم والثقافة ؟! وتتنهد (أم سامر) بحرقة وألم دفين ، والدمعة تلمع في عينيها وهي تجيب :
- والله يا بني ما قصرت ، لقد بذلت قصارى جهدي في إقناع والدك لأتابع تعليمي ، وما كنت ألقى منه إلا السخرية والاستهانة بمطلبي .
لقد كان وضعنا الثقافي متقارباً عند زواجنا ، فإذا به ينمي ثقافته ، ويهملني أنا أم أولاده وشريكة حياته ، فأصبح البون بيننا شاسعاً .
ثم تعلق بتجرد وموضوعية تحكي واقعها المرير :

- حقاً ، كم بين بدائية الثقافة وبين الدكتور في الفلسفة من بون شاسع ! فما الذي أوصله إلى ذلك ؟!
- لا أريد أن أصفه بالأنانية حين فكر في مصلحته فقط وتعلم على حساب راحتنا ومصالحنا ، لكنه على كل حال تناسى أنني زوجته التي فشل حتى في تعليمها . كم كان يهزأ بالكبيرات اللائي يذهبن للدراسة ويقول (وربما يقصد الحاجة أم ممدوح بالذات وقد قاربت الخمسين من عمرها) :
- تصوري عجوزاً شمطاء ، تتوكأ على عصاها بيد ، وتحمل (شنطة كتبها) بيدها الأخرى !
ثم يقهقه ساخراً... وما كانت ضحكاته تلك لتؤثر فيّ ، قلت له :
- أليس ذلك أفضل من بقائها أمية ؟! تتعلم القراءة والكتابة ، بدلاً من أن ترى جميع الصفحات سواداً ، لاشيء عليها إلا طلاسم لا تفهمها . ثم إني لست بعمر الحاجة إنها بعمر والدتي !
رد علي بازدراء ، وهو يرمقني بطرف عينه :
- تريدينني مثل الأحمق "حازم" الذي يوصل بيده زوجته إلى المدرسة في المساء ، شأنه في توصيل أولاده في الصباح ؟!
ثم يردف قائلاً باستعلاء :
- إنه فارغ ! وماذا وراءه من عمل ؟!
وتزيل (أم سامر) عن ولدها "الغبش" وتجلي الحقيقة بقولها :
- لا والله ما كان فارغاً ، إنه رغم أعماله الكثيرة ، يجد أن من واجبه تخصيص وقت لأسرته ، وهاهي زوجة "حازم" الآن في الجامعة ، وقد نفضت عنها أميتها ولحقت بركب الحضارة...
يقولون يا بني : وراء كل عظيم امرأة !!
أما علم هؤلاء أن هذا يعني أيضاً ، أن أمام كل امرأة رجل ينير لها الطريق ويمهد لها السبيل ؟!
ثم تفطن لواقعها ، وتقول بتعقل :
- من حق والدكم أن يتزوج ، سواء لأنه أصبح عالي الثقافة وامرأته شبه أمية ، أو لأدنى سبب رآه ، وليس له أن يكون الزواج سبباً في تهربه من المسئولية ، والبعد عن تبعات الأولاد . أين العدل الذي أوجبه الإسلام ؟! أم ظن أن العدل في الطعام والشراب فقط ؟!
وتدخل سلمى لتخبرهم عن سخط شقيقها (سعيد) وخروجه من المنزل ، فيهب سامر واقفاً ، ليلحق بأخيه ، يبحث عنه بين المتسكعين والتافهين...
وتفلسف سلمى ذلك بقولها :
- هذا نتاج الحرمان من عطف الأب ورعايته... !
ويقع قولها كالقذيفة على قلب أمها ، فتنفجر باكية...
وتقبل سلمى على أمها ، معانقة مقبلة لوجنتيها ، تخفف عنها وتقول لها:

- أبقاك الله يا أمي ، وجزاك عنا خير الجزاء ، إذ لولا صدرك الحنون ، وحدبك الدؤوب علينا ، لما علم إلا الله سبحانه ما سيحل بنا...
ثم تقول ناقدة وحانقة :
- يحبون تكثير النسل... ! أو ما علموا أنه قد لا يزيد إلا في غثاء السيل...! أو ليس للتربية ونوعية النشأة عندهم أهمية ؟!
وتتذكر الأم أن من واجبها التقريب بين الأب وأولاده ، فتقول لابنتها في رضى واستسلام :
- الحمد لله ، إن والدك يختلف عن غيره من الناس ، انظري أسرة "النزَّال" كم يعاني أولاده من الضيق والضنك ، بينما يتمتع والدهم وزوجته الجديدة بأبهى المتع ، وينعمون بأثمن الرياش وأعظم المسرات .
وتجيبها سلمى وكأنما لدغتها عقرب :
- كفانا الله الشر أن يكون والدي مثل (النزَّال) أو أن تكوني أنت مثل زوجته الأولى ...
لقد وصل بها الأمر أن دست السم في طعام أرسلته له سراً ، واكتشف الأمر ، وقيدت الجانية إلى السجن...
وتنصب سلمى من نفسها قاضياً حين تقول :
- لقد كان الأجدر أن يسجنون الأب تأديباً له على ما فرط في حقها وبسبب ظلمها وظلم أولاده !!
وتردف الأم :
- الحمد لله أنكم لستم كأولاده ، فلا يكاد السجن يفرغ من أحدهم : هذا بتهمة الاحتيال ، وذاك للاقدام على الانتحار ، وآخر للنشل ...
وفيلسوفة البيت (سلمى) تعلق بثقة بالغة :
- طبعاً... الحرمان العاطفي والشعور بالظلم ينميان الميول العدوانية .
فالحمد لله الذي عوضنا بصدرك الحنون يا خير أم .
تقول ذلك وتنهال على يد أمها لثماً وتقبيلاً .
وأما "د. عبد الحميد" فلم يهدأ له بال ولم يقر له قرار . إنه كلما تذكر الرسالة عاد إلى قراءة سطورها ليجد الحقيقة أمامه واضحة : إنهم أولاده ، مهما هرب أو تهرب... إنها زوجته مهما تعالى أو استعلى... إنهم واقعه الذي يجب أن يتعامل معه... ثم إنه واجبه الديني قبل كل شيء ...(العدل) ، به تستقيم الحياة ويوضع كل شيء في نصابه... وماذا لو تعكر مزاج "فاتن" بعض الشيء ؟! فإن كانت تحبه حقاً فستقدر وضعه ، وإلا فلا خير فيها... !!
وإذا تبين لديه ذلك قرر مفاتحتها ومرافقتها لزيارة أسرته... وبعد جلسات معدودة ، قضاها مع "فاتن" بين أخذ ورد صارت "فاتن" أخيراً طائعة راضية ، تشتري لابنته (سلمى) عقداً جميلاً لتحلي به صدرها بمناسبة خطوبتها...
وانتعش فؤاد (أم سامر) بعد أيام قاحلة عانت فيها الكثير... والتأم شمل

الأسرة فعاد للبيت إشراقه وبهجته ، وفرح (سامر) وأشقاؤه بإخوتهم الصغار (أولاد فاتن) وأصبحوا يلاعبونهم ، ويركبونهم الأراجيح ويشترون لهم اللعب والهدايا والحلويات... يستمعون إلى أناشيدهم الشجية ويحكون لهم القصص الممتعة .
لقد عادت البسمة إلى شفاه الجميع ، والكلمات الطيبة إلى أفواههم ، والأنس والسرور أصبح يغمر كيانهم.
وأحلى الساعات وأحبها إلى قلوبهم ، عندما تجتمع أسرتهم الكبيرة بمرحهم الحبيب وروحهم المتآلفة .
هاهي قد استقامت حياتهم عندما استقام ربان أسرتهم ، وثاب إليه رشده ، وحقق ما يطلبه منه ،ربه : (العدل) .

شعر

زحوف النور

بقلم : أبي معاذ الخالدي

الانـفـعـال الـحـق بالإيـمـان يـدفـع للأمام
إن الـعـقـيـدة قـــوة قـدسـية لـيـسـت تضام
إن الـعـقـيـدة قـمـة شـمـاء شــامـخـة المقام
هـيهات ليس يضيرها وغد تمرغ في الرغام
يا ملتي السمحاء إن يشرق ضياؤك في الأنام
ويـطـل فـجر زحـوفـك الغراء ينكسر الظلام
* * *
أهل العقيدة عند رب العرش في حصن حصين
لا يـسـتطيع نـزالـهــم أحـد فـربـهـم الـمـعين
* * *
هـبـت جنود الـكـفـر والتخريب في هذا الوجود
وتـألـبـت ضـد الـعـقـيـدة كـل شرعات القرود
وتـصـايـح الـبـاغـون في الـدنيا كدمدمة الرعود
يـا رايـة رفـت عـلـى بـدر بـمـاضـيـها السعيد
وتـألـقـت مـن بعد في دنيا الورى للكون عودي
إن الـبـرية في الـضـيـاع يقودها شعب اليهود !
* * *
وغـداً سـيـشـرق نـورها الوضاء يهزأ بالدجون
إن الإله الواحـد الـديـان خـيـر الحـافـظـين
* * *

أفلم يجد شعب الضلالة مسلماً صدق الولاء ؟
لله دون تـزيـــــف وتـــردد دون الــتــواء ؟
لـيـصيـح في وسط العماية حاملاً هدي السماء:
"الله أكبر" يـسـقـط الـشـرك المـزيـن بالـطـلاء
"الله أكبر" صـرخـة الأجـداد في يـوم اللــقاء
"الله أكبر" لا يـعـوض فـقـدها طوـل البكاء !!
* * *
أيهود يـومكـمـو دنـا فـلـتـرقـبوا الفتح المبين
الله يـبـعـث جـنـده بالـنصر.. ذلكـمو اليقين

وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ ـ 2ـ

محمد بن صامل السلمي

تكلم الكاتب في الحلقة السابقة عن وسائل الغزو الفكري في تشويه التاريخ ، فذكر الوسيلة الأولى وهي اختلاق الأخبار ، وإبراز المثالب ، ويكمل في هذه الحلقة بقية الوسائل .

2 -استخدام المنهج العلماني (اللاديني) في البحث والنقد :

وهذا من أخطر الوسائل وأعظم المنجزات التي حققها دعاة الغزو الـفـكـري ، وتمكنوا من تقريرها في كثير من جامعات العالم الإسلامي ومراكز البحث العلمي ، ولهـــذا المنهج آثار سـيـئة على تراث المسلمين ودينهم لأنه قائم على أسس من الفلسفة الوضعية الـتـي تـنـكـر الوحي والنبوات، ولا تقيم وزناً للمنهج الرباني . ومن عجب أن يدعي أصحابه الموضوعية والحياد العلمي(1)، مع كونه غير شرعي وغير علمي، أما كونه غير شرعي فأمر لا يحتاج إلى دليل ، أما كونه غير علمي فقد ثبت بالاستقراء والتتبع لما يكتبونه عن التاريخ والثقافة الإسلامية أنه يقوم على الأسس التالية :

أ - العمل على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها مسبقاً حسب أهوائهم ، ثم التحكم فيما يرفضون مـن الـنـصـوص المـضـادة لها بمـجـرد الهـوى بـل قد يصل الأمر ببعضهم إلى تحريف النصوص عندما يعجز عن تفسير النص على ما يـريـد وانـظـر أمـثـلـة لهـذا عـنـد ولهاوزن ، وكيتاني ، ولامانس ، وجولد تسيهر ، وفيليب حتى ، وكارل بروكلمان .

ب -الضعف العلمي وقلة الإحاطة بمصادر الـثـقـافـة والـتراث الإسلامي الأساسية، لذلك تأتي آراؤهم وأحكامهم ناقصة الأدلة الصحيحة من النص أو الاستقراء .

ج - الجهل بمراتب المصادر العلمية أو تجاهل ذلك ، ومن هنا يتحكمون في المصادر التي يختارونها ، فتجدهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكـمـون به في تاريخ الحديث النبوي ، وينقلون من كتب التاريخ ما يحكمون به في الفقه ، ويصححون ما ينقله الدميري (مثلاً) في كـتـاب حـيـاة الحيـوان، ويكـذبـون ما يـرويه الإمـام مالك في المـوطـأ، ويهاجمون صحيح البخاري ، ويمجدون كتاب الأغاني (2)..

د - فـقـدان الأمانة العلمية تجاه المباحث الإسلامية وذلك لخاصتين متأصلتين في النفسية الأوربية شهد بهما كاتب مطلع من بني جلدتهم هو محمد أسد (3) ، وواقع الحال يثبت ذلك :

الخاصية الأولى : هي كـراهـيـة الأوربـيـيـن لـلـمـبـاحـث الديـنية نتيجة للصراع بين العلم والكنيسة الذي عاشته فترة طويلة من تاريخها .

والخاصية الثانية : الكراهة المتأصلة بـيـنهم وبـيـن المسلمين نـتـيـجة للعداء التاريخي في الأندلس وفي الحروب الصليبـية إضافة إلى ما في طـبـيـعـة النفس الكافرة من الجحود وكره الحق والإيمان وأهله ، وقد لاحـظ هذا محمد أسد في كتابه : الإسلام على مفترق الطرق ، وقال : إن المستشرقين لا يحـتـفـظـون تجاه البحث في الإسلام بموقف علمي متزن... وذكر مجموعة من الطرق التي يلجأون إليها في تشويه الإسلام . (4) .

3 - التفسير الخاطئ والفهم العجيب للنصوص :

وهذا راجع إما للجهل حقيقة - هـو أمـر غـيـر مسـتبعد - وخاصة أن جل المستشرقين لا يكادون يـدركـون مـعـانـي الألفاظ العربـيـة ودلالـتـهـا ولا يحـيـطـون بكتب العلم والثقافة الإسلامية، فيقعون نتيجة لذلك في أخطاء فاضحة، وإما تعمدا، وهذا نابع من الحنق على المسلمين والعداء لهم ، وإننا نلحظ هذا التفسير الخاطئ في كتابات المستشرقين عن كثير من القضايا الإسلامية مـثل الـجـهـاد والـرق ، ومـكـانـة المـرأة في الإسـلام ، والنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمذاهب والفرق الإسلامية... الخ ، لأن مثل هذه القضايا لا تفسر بناء على الوقائع التـاريـخـيـة وحدها بل لابد للكـتـابـة فـيها من معرفة الأحكام الشرعية وأصول التـفـسير والـفـقـه وقـواعـد الـشـريـعـة، لأن معرفة هذه الأصول أمر لازم لمن يحلل النصوص التاريخية عن هذه القـضـايـا ويـفـسـرهـا، وهذا الجانب من المعرفة مفـتـقـد - مع الأسف - عند عامة من كتبوا في التاريخ الإسلامي من المعاصرين سواء من المستشـرقـيـن أو المتخصصين في التاريخ من أبناء المسلمين وهذا راجع إلى الفصل القائم في كثير من دور العلم بين الدراسات الشرعية والدراسات التاريخية .

ومن المعلوم أن التاريخ ليس هو الحدث وحده بل هو الحدث وتفسيره والحدث وبـاعثه . ولاشك أن العقيدة تأخذ جانباً كبيراً في تحديد البواعث

والأهداف ، ومن هنا تأتي ضرورة معرفة الاتجاهات العقدية عند من صنعوا الحدث ومن كتبوه ومن فسروه ، حتى نستـطيع أن نقدر التقدير الصحيح والنسب الحقـيـقـية لكل العناصر الفاعلة في الحدث التـاريخي ، الذي هو عبارة عن فعل صدر من إنسان في زمـان ومكـان معين وقبله ومعه ، وبعده قدر الله المحيط بكل شيء ، فلابد من إدراك هذه العناصر الـثلاثـة الـفـاعـلة في الحدث التاريخي ومعرفة أثر كل عنصر منها وحجمه ، حتى نفسر الحدث التاريخي تفسيراً مقارباً للواقع .

4 - الاعتماد على مجرد الهوى في النقد والتحليل للحوادث التاريخية :

إن نقد الأخبار يخضع لمقاييس وضوابط علمية قررها العلماء الذين كتبوا في هذه المجالات مثل علماء الأصول وعلماء الجرح والتعديل وعلماء المنطق ، ولابد من الالتزام بهذه الأصول في نقد الأخبار ، إذ لا يجوز رد الأخبار لمجرد عدم قبول الإنسان لهـا وانشراح نفسه لما تدل عليه أو عدم تذوقه لمثل هذه الأخبار ، لأن الحكم بالذوق والهـوى وعـدم الـمـوافـقـة الشخصية لا يجوز أن يدخل في ميدان الـعـلـم وإنـمـا هـذا بـمـيـدان الأدب وماشاكله أليق لخضوعها للعاطفة والتذوق الشخصي، أما الأخبار التاريخية فإنها وقائع عن حقائق ولابد أن تنقد على أصول نقد الحقائق العلمية، ومن الأمثلة على هذه الوسيلة ما نجده عند كثير من المستشرقين وبعض من تأثر بهم مع ادعائـهـم مناقـشة القضايا بمنطق العقل والعلم ولكن إذا فتشت في كتبهم وجدت أن ذلك مجرد دعوى لا دليل عليها بل الواقع يناقضها ، وأن نقدهم للنصوص والأخبار هو بمجرد الهوى والتذوق والميل الشخصي، انظر مثالاً على ذلك (طه حسين) في كتابه: على هامش السيرة، الذي قيل إنه أحسن كتاب له في الإسلاميات، وتراجع فيه عن كثير من آرائه السابقة فـكـثـيـراً مـا يـستخدم مثل هذه العبارات المـثـيـرة للشكوك : (قيل ويقال ويروى ، وأكاد أقطع ، وأكبـر الـظـن !!..) وقـد قـال عـن حديث متفق عليه : "وأكاد أقطع أن هذا الحديث مهما كان سنده غير صحيح" (5) .

فبمثل هذا القول يرد حديثاً في الصحيحين ويدعي مع ذلك اتباع المنهج العلمي بل ينتـقـد علماء المسلمين ويشكك في معلوماتهم ومنهجهم العلمي !!.

5-عرض جانب من الحقيقة ووضع الخبر في غير سياقه الصحيح :

وذلك أن التاريخ إذا عرض جانب منه وأخفي الجانب الآخر فإنه لا يعطي الصورة كاملة بل يشوهها وخاصة إذا أخذت الصورة الضعيفة وجمعت النقاط السود ، فمثلاً إذا ركزنا في دراسة التاريخ الإسلامي على عرض جانب الأحداث الداخلية ، والحـياة الـسـيـاسـيـة ، وقيام الحكام ، وسقوطهم ،

وثورات بعضهم على بعض وقلنا بأن هذا هو التاريخ الإسلامي فإن الصورة تكون قاتمة ومشوهة ، لأننا أخذنا أضعف الصور وأشدها قتامة وقلنا هذه هي الحقيقة كاملة .
ولو أننا عرضنا مثلاً الجانب الذي ركز عليه صاحب كـتـاب الأغاني وأبـرزنـاه عـلـى أنـه التاريخ الاجتماعي والخلقي لأعطانا صورة مشوهة لمـجـتـمـع الحـجـاز وأنه عاش فترة من الخمول والانشغال بالملذات الحسية والغناء والطرب وما شابه ذلك .
وهذه النتيجة - مع الأسف - صرح بها وكررها كثير من الباحثـيـن المـعـاصرين من أمثال أحمد أمين، وطه حسـيـن، وشـوقـي ضـيـف (6)..وغـيـرهـم من مؤرخي الأدب وألمح إليها الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه (تاريخ الإسلام السـيـاسي) وغيره من المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ هذه الفترة (7)... وهذه الصور مع افتراض صـحـة كل الأخبار التي أوردها صاحب الكتاب - وهو افتراض بعيد - لا تعطي الحقيقة كـلـهـا، ولا تصلح حجة لإصدار حكم عام على المجتمع المدني والمكي ، لأن كتاب الأغـانـي لأبي الفرج الأصبهاني خاص بالأغاني العربية ، كما يدل عليه اسمه ، وكـمـا صـرح مـؤلـفـه في مـقـدمة كتابه فهو إذن حديث عن فئة خاصة أقلية النسبة للمجتمع، وأيضاً في أضعف نوعيات المجتمع وهي فئة المغنين والجواري والعبدان وأصحاب اللهو والمـجـون ، ثـم إن صـاحـب الـكـتـاب يـعـرض الجانب الضعيف من حياة هذه الـفـئـة، ولا يـذكـر مـواطـن الـجـد والـشـجـاعة والرجولة والاستقامة من حياتهم ، ثم هي فئة لاتمثل المجتمع بأي شكل من الأشكال وإنـمـا يـنـظـر إليها العقلاء في كل وقت وعصر حتى مع تغير المفاهيم وبعد كثير من الـناس عـن حـقـيـقـة الدين إلـى أنـهـا فـئـة سـاقـطـة ومحـتقرة وخاصة في المجتمع الذي يتحدث عنه صاحب الكتاب، فهذا الإمام مالك إمام دار الهـجـرة يقول عنهم : "إنما كنا نسميهم الفساق" (8) وليس من الأمانة العلمية أن نصدر حكماً عاماً على مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم من واقع شريحة واحدة من شرائح المجتمـع ، كبيرة كانت أم صغيرة ، بل لابد من النظر إلى كافة جوانب حياة الأمة الإيجابية منها والسلبية.

6-إضعاف دراسة التاريخ الإسلامي ومزاحمته بغيره :

إن من وسائل دعاة الغزو الفكري إضـعـاف دراسـة تـاريـخ الأمـة الإسـلامـيـة فـي المدارس والجامعات ومراكز العلم في العالم الإسلامي ، ومزاحمته من تواريـخ الأمـم الـكـافـرة سـواء القديم منها والحديث ،مما يضعف شأنه في نفوس الدارسين ، حـيـث يـعـطـى لهم بصورة مختصرة ومشوهة ، بينما يفسح المجال لدراسات واسعة في التاريخ القديم ، ويربط سكـان كل منطقة بتواريخ الأمم الجاهلية التى عاشت فيها ، ففي مصر الفرعونية ، وفـي الـعراق البابلية والسومرية ، وفي بلاد الشام الفينيقية ، وفي اليمن السبائية والحميرية

، مما يوجد الوطنيات العرقية الضيقة ويفتت الوحدة الإسلامية ، ويشتت أوصال التاريخ الإسلامي ، بحيث يبدو وكأنه نقطة في بحر أو جدول صغير في نهر .

7- جعل واقع المسلمين في العصور المتأخرة الصورة الحقيقية لتعاليم الإسلام :

في عرض التاريخ الإسلامي في مثل تلك المراكز يجعل واقع المسلمين المتخلف هـو الـصـورة الحقيقية لتعاليم الإسلام ، وهذا تشويه متعمد ومغالطة للحقائق العلمية والـواقـع والغرض من ذلك تزهيد المسلمين في دينهم والفصل بينهم وبينه حيث يصورون لهم الدين من خلال درس التاريخ بالصورة المتخلفة التي أنتجها واقع المسلمين المنحرف عن تعـالـيـم الإسلام ، ثم يجعلون المسلم بين خيارين إما أن يصبر على التخلف إذا أراد التمسك بدينه ، وإما أن يأخذ سبيل التقدم لكن عليه أن ينبذ دينه كما نبذت أوربا دينها ، ويخفون في دهاء ومكر الخيار الثالث الذي هو البديل الصحيح عن الخـيـاريـن الـسـابـقـيـن، وهو النهوض بالأمة والرجوع بها إلى مستوى دينها الحق، وبيان أن ما وقعت فيه الأمة من التخلف والانحطاط هو نتيجة طبيعية لتخلفها في عـقـيـدتـهـا وإسلامها ، لا نتيجة تمسكها به كما يصور ذلك أعداؤها... ثم إن هناك فرقاً بين الـديـن الحـق ديـن الإسـلام ؛ وبـيـن الخرافة التي كانت عليها أوربا وتسميها ديناً ، حقاً إن أوربا لم تتقدم مادياً وعسكرياً وعلمياً إلا بعد أن نبذت الخرافة وتخلت عنها وحررت عقلها من آثارها فإنها لم تكن على ديـن بـل كـانـت عـلـى خرافة. ولا شك أن هذا الأسلوب في عرض المسألة وتصويرها هو من التلـبـيـس الـمـتـعـمـد والتشويه المقصود الذي حاول المستشرقون زرعه في قلوب الناشئة من أبناء العالم الإسلامي.

8 - إبراز دور الفرق الضالة وتضخيمه :

لقد وجد دعاة الفتنة من المستشرقين ومن لف لفهم وسلك طريقهم غايتهم المنشودة في الفرق المنحرفة والخارجة على سبيل السنة مثل الخوارج، والرافضة، والقرامطة وإخوان الصفا، والمعتزلة ، وإلجهمية وأيضاً من الشخصيات الضالة مثل ابن سبأ ، وعبيد الله بن مـيـمـون القداح ، والحاكم العبيدي ، وصاحب الزنج ، والحلاج ، وابن عربي ، وغيرهم فنـشـروا تراثهم واعتنوا بتاريخهم وضخموا أدوارهم وأقاموا المـراكز والجمعيات لخدمة ذلك ، مـع تصويرهم لحركاتهم وإبرازها على أنها حركات إصـلاحـيـة ومـعـارضـة للفساد ، وهذا كله تزوير للحقائق وإخفاء للأهداف الحقيقية التي تسعى تلك الفرق وأولـئـك الأشـخـاص إلـى تحقيقها وهي تحطيم الخلافة الإسلامية ، وتبديل مفاهيم الدين الصحيحة بمفاهيم باطنية ووضعية ، والكفر ملة واحدة والكفار بعضهم أولياء بعض لذلك لا نستغرب من المستشرقـيـن إحياء تراث الفرق المنحرفة والشغب بها وبرجالها على التاريخ الإسلامي ، ومزاحمة سير

رجاله وأبطاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة واتهام المؤرخين المسلمين بالتعصب ضدهم وتحريف تاريخهم، لا نستغرب ذلك لأنه مقتضى كفرهم وعداوتهم لأهل التوحيد والإيمان فهم يكيدون للمسلمين ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً، ولا يتوقع من ملل الكفر عدل ولا إنصاف، ولكن المستغرب أن يناصرهم ويشايعهم من ينتسب للإسلام فيقوم بنشر سمومهم بين بني جلدتهم من المسلمين ليصرفوا به الأغرار عن الصراط المستقيم .

9-تجاهل الترتيب الصحيح لمصادر التاريخ الإسلامي :

التاريخ الإسلامي له مصادر أصيلة دونها أهل العلم وفق منهجية علمية أصيلة مستقلة ولها مراتب في التوثيق وفق شروط معلومة في المؤرخ وفي ما يكتب ، ولكن دعاة الغزو الفكري من المستشرقين والمنصرين وأعوانهم من داخل العالم الإسلامي لا يعرفون هذا الترتيب ، وإذا عرف بعضهم تجاهل ولم يلتزم حتى يحقق رغبته في تشويه التاريخ الإسلامي وأهله ، ولذلك نجدهم -كما سبقت الإشارة في سمات المنهج العلمي عندهم - يرجعون إلى كتب الحكايات والسمر وكتب الأدب مثل المستطرف ، والأغاني والحيوان ، وغيرها من كتب الطرائف والنوادر التي لم يقصد مؤلفوها تدوين الحقائق التاريخية بقدر ما قصدوا إلى جمع الأخبار والحكايات التي فيها تسلية وتغذية للمجالس بينما يغفلون كتباً من أوثق الكتب بما تضمنت من الحقائق التاريخية مثل كتب الحديث النبوي من المصنفات والسنن والمسانيد والجوامع التي تذكر أخبار السلف بالأسانيد، ومثل كتب الفقه التي تذكر السوابق التاريخية والقضايا التي وقعت من القضاة والفقهاء والحكام ، ومثل كتب السير والتراجم .
ثم هم لا يوجد لديهم ميزان للمرويات غير منهج التوسم(9)، والاستعادة والترجيح العقلي، وهذا غير كاف لمعرفة صحة الرواية ونقد الأسانيد الذي اعتنى به العلماء المسلمون في علم الجرح والتعديل ومصطلح الحديث وقوانين الرواية، ومن المعلوم أنه لابد من إثبات صحة الأخبار والوقائع قبل البحث في تفسيرها وتعليلها .
وختاماً : هذه بعض الوسائل التي استخدمها دعاة الغزو الفكري في تشويه تاريخ الأمة الإسلامية ودينها، وهي ليست كل الوسائل ففي حصرها صعوبة بل لا تنحصر لأنها تتجدد حسب الظروف والمقتضيات وحسب الأهواء والرغبات ، ولأن كيدهم مستمر كما أخبر الله -جل ذكره- في كتابه : ((ولَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ ولا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)) [البقرة: 120].. وقوله : ((ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا)) [البقرة:217] . ذكرت هذه الوسائل تحذيراً وتنويراً لبني قومي وديني عامة ، وللمتخصصين في التاريخ الإسلامي خاصة ، رجاء أن ينفعهم الله

بها ويتنبهوا لعظم خطر الدراسات الاستشراقية عن تاريخ المسلمين وحضارتهم ونظمهم ، ولله الموفق والهادي .

الهوامش :

1- عن منهج البحث العلمي الأوربي والحياد والموضوعية انظر منهج كتاب التاريخ الإسلامي / 131 - 168 .
2- انظر : سفر الحوالي ، العلمانية / 550 .
3- الإسلام على مفترق الطرق / 45 ، 52 ، 53 .
4- انظر الصفحات / 52 - 55 ، 58 ،61 .
5- على هامش السيرة / 133 .
6- له كتاب : الشعر والغناء في المدينة ومكة في عصر بني أمية .
7- يحسن الرجوع للرسالة القيمة التي أعدها الدكتور عـبـد الـلـه الخـلـف في كلـيـة اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان (مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية).
8- مجموع فتاوى بن تيمية 20 / 336 .
9- السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي / 135 .

شئون العالم الإسلامي

الجهاد الأفغاني : التعالي على الخلافات

فـرح المـسـلـمـون في كل مكان حينما انسحبت روسيا وجيشها الأحمر من أفغانستان تحت ضـغـط الـجـهـاد الأفغاني الذي أقضى مضجع الشيوعيين وأذنابهم ، واعتبروا ذلك هزيمة للباطل الذي تقوده الشيوعية وانتصاراً للحق المظلوم المتمثل بالإسلام .

وقـد وضـع الـمـسلمون أيديهم على قلوبهم خشية من بنيات الطريق والمنعطفات التي تنتظر إخوانهم المجاهدين في أفـغـانـستان، لعلمهم أن مواجهة المشاكل الداخلية قد تكون أصعب من مواجهة أعداء الخارج . وهذه قاعدة مطردة وسنة معروفة .

والمجاهدون - على ما بذلوا من أرواح وتضحيات على كل صعيد ، وعلى ما أظهروا من شجاعة اعترف بها العالم - فإن فيهم ما يخشى عليه ويخشى منه ، وصفوفهم ليست ممحصة تمحيصاً يدعو إلى الاطمئنان الكامل أنهم قادرون على التغلب على العقبات التي نصبت لهم هنا وهناك . وكل الناس يعلمون أنه لا روسيا ولا أمريكا ولا القوى المحيطة بأفغانستان ترغب في إقامة حكم إسلامي صافٍ من شوائب المساومات والتنازلات. وإذا كنا لا نحب الكلام على السلبيات ولا تضخيمها ، فإننا أيضاً لا يحسن بنا أن نتجاهلها ونغفل عنها، ومن

أخطر ما سيؤثر على الجهاد الأفغاني وجود النزعات القبلية التي لها حساباتها الخاصة التي تختلف ومقتضيات الجهاد .
والقبلية إذا وضعت كهدف ، وعادى الإنسان على أساسها ووالى فإنها لا تأتي بخير أبداً ، وشواهد التاريخ ماثلة ، وأقربها وأجدرها بأن يأخذ الشعب الأفغاني منه عبرة ودرساً هو حال العرب الذين استغلهم الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ليضربوا بهم الأتراك ، ويقضوا على كيان الدولة العثمانية ، واعدينهم بالاستقلال وتأسيس امبراطورية عربية وإعادة مجد التاريخ العربي ، فعمل هؤلاء الحلفاء على مصانعة القبائل العربية واستغلال حب هذه القبائل للمال ونزوعها الذي طال عليه الأمد إلى العصيان وحياة السلب والنهب ، فبثوا بينها الجواسيس ، ووزعوا عليها صرر الذهب وحرضوها أن تضرب مرافق الدولة ، وتسطو على الحاميات العسكرية بغارات دموية جعلت من المستحيل أن تكون هناك علاقة حسن جوار بين العرب والأتراك فضلاً عن علاقة أناس يجمعهم دين واحد ، وكانت النتيجة أن لا دولة عربية قامت بل مِزَقُ دول ، ولا القبائل العربية اغتنت ، والمستفيد الأول والأخير هو القوى الاستعمارية وأعوانها وأذنابها .
نقول هذا الكلام بعد أن بلغنا ما وقع فيه المجاهدون من رفعهم السلاح على بعضهم ، فمهما كانت الخلافات بين المسلمين لا ينبغي أن تؤدي إلى إراقة الدم بين المسلمين وتفتيت وحدتهم التي لا يستفيد منها إلا العدو المتربص بهم ويفرح بها أشد الفرح . بل إن صحافة العدو تنتظر مثل هذا الحدث لتضخمه وتنفخ فيه حتى تنفر القلوب وتشحن الصدور وتجعل الأفغان مائة أفغان كما جعلت العرب اثنين وعشرين عرب .
إن هناك من يتربص بالجهاد ليكبر أخطاء المجاهدين ، وليحرك الإحن والأحقاد ، فلاشيء أقسى على أعداء الجهاد من وحدة المجاهدين ، ولاشيء أدعى لإبطال خططهم ومكايدهم من صدور المجاهدين على رأي واحد في المسائل المصيريه والهامة ، وإلا فبأي شيء نفسر أن تفتح دولة مجاورة أبواب سفارتها للتعزية بمن قتل في الحادث المؤسف ، هل طلباً للإصلاح ، أم إثارة للمشاعر وتحريكاً للخواطر وتعميقاً للفرقة بين أهل السنة ؟
إننا مع عدم رضانا أن يسفك المسلم دم أخيه المسلم لاختلافهما في وجهات النظر ؛ ندعو الإخوة المجاهدين إلى ردم الهوة بينهم ، وتجاوز الأخطاء حتى لا تستثمر هذه الأخطاء من قبل من لا يرقب فيهم إلا ولا ذمة ، ولا يريد بهم جميعاً إلا الشر والوقيعة

بدء الجهاد المسلح في أرتيريا

في يوم الجمعة 19 من ذي القعدة 1409 هـ الموافق 23 من يونيو 1989 م أعلنت المنظمات الإسلامية الجهاد ضد الأحـبــاش المتسلطين محطمة الحواجز النفسية والمادية بعون الله ، فأخذت مواقعها القتالية في قلب أرتيريا لا تخشى إلا الله ، لتبدأ الجهاد المقدس والمستمر فيها حتى النصر -بإذن الله-، وفي هذه المناسبة نقدم هذه الدراسة عن القضية الأرتيرية .

مقدمة جغرافية وتاريخية :

تقع أرتيريا على الساحل الـغـربي الجنوبي من البحر الأحمر ، ويحدها شمالاً السودان ، ومن الشرق البحر الأحمر ، ومن الجنوب الصومال وأثيوبيا ، ومن الغرب أثيوبيا كذلك .

ومساحتها45 ألف ميل مربع،وعدد سكانها أربعة ملايين،70% مسلمون والباقي نصارى، وكثير من قبائلهم يرجعون إلى أصول عربية،ولهذا فاللغة العربية هي اللغة الأكثر انتشاراً، وهي جزء من مملكة الحبشة المشهورة التي كان ملكها فيما قبل الإسلام يسمى النجاشي ، وكانت هذه المملكة تضم إلى جانب أرتيريا، أثيوبيا، وجيبوتي، وجزءاً من الصومال وكينيا والسودان ، وقد دخل الإسلام إلى مملكة الحبشة عموماً - وأرتـيـريا جـزء مـنهـا - في أول الـعـهـد الـنـبـوي حيث تمت أول هجرة في الإسلام إلى الحبشة كما هو معلوم من الـسـيـرة النبوية .

وقد ظلت أرتيريا تابعة للدولة العثمانية من عام 1557 م إلى عام 1864 م ، ثم انتقلت إلى سلطة الدولة الخـديـويـة في مـصـر ، ثـم احـتـلـتـهـا إيطاليا في عام1889م وفي عام 1941م احتلتها انجلترا ، وتآمر الانجليز مع هيلاسيلاسـي ضـد أرتـيـريـا المسلمة ، فأسسوا حزباً نصرانياً في الأمم المتحدة وصوتوا لإنجاح قرار يقـضي بوجود حـكـومـة أرتـيـرية تـتـمـتـع بسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية في الشؤون الـداخلـية ، متحدة مع أثيوبيا فيدرالياً في الشؤون الخارجية والدفاع ، وذلك في سبتمبر عام 1950 م ، وبعد سنـتـيـن احتل الجيش الأثـيـوبـي المستعـمـرات التي كان يحتلها الجيش البريطاني... وعندها أصبحت أرتـيـريـا مديرية أثيوبية يحكمها ممثل الأمبراطور الحبشي .. ومن ذلـك الـوقـت وحـتـى الآن لازالـت السـيـطـرة الأثـيوبية تجثم على صدور المسلمين في أرتيريا، وخلال ذلك أقامت أمريكا قاعدة عسكرية كبرى...

وكانت أثـيـوبـيا قد ألغت عام 1962 م النظام الفيدرالي الشكلي وأعلنت دمج أرتيريا في أثيوبيا، حدث ذلك بمساعدة من أمريكا التي تبنت القرار في الأمم المتحدة... والتي منحت فيما بعد امتيازات استراتـيـجية على الأراضي الأرتيرية ...

مارس الطاغية هيلاسيلاسي وأوباشه أشد أنواع التعذيب والاعـتـداء على شـعـب أرتـيـريـا المسلم\ .. وزج بالكـثـيـر منهم في السجون، ومـارس مـعهم أبشع أنواع الـتعـذيـب، وارتكب جنوده جرائم تتنافى مع أبسط قواعد الأخلاق

والإنسانية ، وقتل الناس أفراداً وجماعات وانتهكت الأعراض وعلقت الجثث ، واستخدمت السموم بالطائرات من أجل الإبادة الجماعية ، وفي شباط 1967 م شنت قوات الطغيان الهيلاسيلاسية حملة إبادة... ودمرت فيها أكثر من 62 قرية وقتل المصلون ، وأحرقوا في مساجدهم أثناء الصلاة بعد إحكام إغلاق المساجد عليهم ..

وتحرك الشعب الأرتيري المسلم، فاندلعت ثورة هذا الشعب، وذلك في 1/ 9 / 1961 وخرج فيها شباب كثير وكانت السمة الغالبة عليها سمة إسلامية ، وإن كانت تختلط بالروح الوطنية أحياناً، وقد كانت قوية في بدايتها، ولفتت أنظار العالم إليها بما أحرزته من انتصارات، وشعر النصارى من الأريتيريين الذين كانوا يؤيدون أثيوبيا في استعمارها ، شعروا بأن الثورة قد تحقق انتصاراً يؤدي بالفعل إلى الاستقلال ، فرأوا أن من مصلحتهم الدخول في الثورة، فدخلوا فيها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن عدداً من الشباب الأريتيري الذي ينتمي إلى الإسلام اسماً دخلوا في صفوف الثورة بأفكار منحرفة.. فدخلوا وكل منهم يحمل معولاً للهدم داخل الثورة ... وما هي إلا سنوات قلائل حتى خرجت رؤوس الفتنة... هذا شيوعي ماركسي ، وذاك بعثي اشتراكي... وآخر قومي عربي .. فكان أول انشقاق على الثورة هو ذاك الذي قام به أحمد ناصر الشيوعي مع مجموعة من حزب العمل الشيوعي ، فانشقوا بجبهة أسموها (جبهة التحرير الأريتري) ، ثم قام المدعو عبد الله إدريس بانقلاب عسكري وأسر كل الشيوعيين بمن فيهم رئيسهم أحمد ناصر ، وأصبح هو رئيسها .

ثم انشقت (قوات التحرير الشعبية) برئاسة عثمان صالح سبي، علماني الاتجاه، ثم انشقت الجبهة الشعبية لتحرير أريتيريا بقيادة (أسياس افورقي) وهي حركة يسيطر عليها النصارى ، وترفع شعار الشيوعية ومدعومة من مجلس الكنائس العالمي .. لذا فهي حاقدة على الإسلام والمسلمين ، تنشر الزنا والفساد ، وهي الآن الوحيدة التي تصول وتجول على أكثر من ثلثي الأراضي الأريترية المحررة ..

وهناك قوات التحرير الشعبية - اللجنة الثورية - التي ترأسها عبد القادر جيلاني،وهي مؤيدة من أحد الأحزاب القومية العلمانية العربية .

بعد ذلك تم تشكيل ما يسمى بالتنظيم الموحد وذلك بدعم بعض الجهات العربية ، حيث تم هذا التشكيل :

أ- جبهة التحرير الأريترية بقيادة عبد الله إدريس .

ب - قوات التحرير الشعبية .

ج - قوات التحرير الشعبية اللجنة الثورية بقيادة عبد القادر جيلاني .

وتم هذا التشكيل العلماني في عام 1405 هـ ، وهذه الجهات كما ذكرنا ... إما علمانية أو ماركسية أو قومية وطنية ... فلم تتبن أي واحدة منها الإسلام ، ولو حتى بالاسم .

الوجه الإسلامي للقضية الأرترية :

لم يكن المسلمون الصادقون من أبناء البلد الأرتيري ليتركوا قضيتهم يعبث بها ذوو الاتجاهات الماركسية أو العلمانية من المسلمين والنصارى ويتفردون بتقرير مصير هذا البلد المسلم .. ولكنهم أدركوا أبعاد قضيتهم .. وأدركوا كذلك أن سبيل خلاصهم هو هذا الدين، ولذلك لجأوا إليه وبدأوا بالدعوة من خلال انتظامهم في عدد من التجمعات والجبهات والاتحادات الطلابية الإسلامية والتي تشكلت بواسطة أبناء الشعب الأرتيري المسلم، وكذلك من خلال تأثر عدد من الأرتيريين بالنشاط الإسلامي الموجود حولهم في السودان ، أو بواسطة الطلاب الأرتيريين الذين درسوا في بعض البلاد العربية، وتأثروا بإخوانهم الدعاة هناك .

الصحوة للجهاد :

وقد كان للوضع الخطير الذي تمر به القضية الأرترية دور بارز في أن تتداعى هذه التجمعات الإسلامية لتوحيد كلمتها وصفها ضد الاستعمار الأثيوبي ، وضد المنظمات العلمانية المجرمة ، كما أن ممارسات الجبهة الشعبية داخل أرتيريا واضطهادها للمسلمين هناك أشعر هذه التجمعات بخطورة الموقف .

ففي شهر سبتمبر الماضي (عام 88) اكتسحت هذه القوات الحاقدة - قوات الجبهة الشعبية - أكثر من ستين قرية من قرى المسلمين، وأخذت الفتيات المسلمات من أهلهن قسراً، وقتلوا الشيوخ والأطفال، فقاومهم المسلمون بالسلاح الأبيض، وسقط عشرات القتلى، ومئات الجرحى ... وأصدرت الجماعات الإسلامية بيانات تندد بهذا الهجوم الوحشي وتحتوي على أرقام وإحصائيات مريعة من هول الجريمة .

ونتيجة لذلك تحرك المسلمون الأريتيريون اللاجئون في السودان في كل من كسلا وفي معسكرات سمسم .. ووجدت ما سميت "بالانتفاضة" وتكونت في كسلا لجنة سميت "اللجنة الإسلامية الشعبية للدفاع عن المستضعفين الأريتيريين" والتي تضم بعض الإسلاميين، وجمهور من الشعب الأريتري في كسلا، وقامت بندب المسلمين لمقاومة الجبهة الشعبية ونصرة إخوانهم في أريتريا .

كما أن الدور الإصلاحي الذي قام به بعض الإسلاميين بين بعض القبائل الأريترية المتنازعة لأسباب عرقية قد ساعد في النهاية على تعجيل وحدة صف الإسلاميين هناك، ففي 21 / 1 / 1409 هـ حدث خلاف ونزاع بين قبيلة أساورتا وقبيلة الساهو الأريتريين وذلك في منطقة أم سقطة

والأسباب عرقـيـة بـالـدرجـة الأولـى، فـتـشكلـت لجنة في سمسم وسميت (لجنة الـوفـاق الإسـلامـي الأريـتـري بمـنطـقة سمسم) هدفها إصلاح الحال وإنهاء الخلاف بين القبيلتين المسلمتين، فبادرت نشاطها في المنطقة المذكورة، واتسع مدى نشاطها ليشمل العديد من القرى، وكانوا في كل مـنـطـقـة يمـثلـون الناس ويذكرونهم ويدعونهم إلى الإسلام ليكون موحداً لهم وجامعاً بينهم ، حتى التقوا في منطقة كسلا (باللجنة الإسلامية الشعبية للدفاع عن المستضعفين الأريـتـريـيـن) فـاتـفـقوا على توحيد العمل الإسلامي ووضع برنامج عملي مرحلي ، ثم قاموا بمسح القرى والمناطق ، يقابلون الناس ، ويحثونهم على قبول الإسلام كحل وحيد للقضية الأريترية .

وكان مما توصي به هذه اللجنة وتدعو إليه هو تقوى الله ، ونبذ الفرقة ، وإعلان الجهاد تحت راية لا إله إلا الله وقيادة العلماء ، والحذر من المنظمات الشيوعية ، والشخصيات المشبوهة ، وكذا العصبيات المنبوذة وقد وجد حماس واستجابة في أوساط الشعب الأريتري لهذا التوجه وبخاصة بعد معاناتهم الشديدة من هذه المنظمات غير الإسلامية .

نشأة حركة الجهاد الإسلامي الأريتري :

ساعدت الظروف والإرهاصات التي ذكرناها ، على تهيئة جو إسلامي عام بين الأريتريين اللاجئين .. فانتهز الإسلاميون الفرصة وقاموا بزيادة حـمـاس المسلمين وإذكاء روح الجهاد فيهم ، وتوحيد صفوفهم فنادوا بدمج الجماعات الإسـلامـيـة في جماعـة واحدة ... ولاقت الفكرة قبولاً لدى جميع الجماعات الأريترية الإسلامية ، حـتـى تشـكل ما يسمى "بحركة الجهاد الإسلامي الأريتري" والتي عقدت مؤتمرها العام الأول في الفترة ما بين 19 - 21 ربيع الثاني عام 1409 هـ ، وتم فيه انتخاب مجلس شوري يتكون من (51) عضواً ، من بينهم مجلس تنفيذي من 11 عضواً ، وقد أصدر المؤتمر بياناً في نهاية الاجتماع أشاروا فيه إلى تسلسل الأحداث في أريتريا بدءاً من دخول الإسلام فيها وحتى الوضع الحالي، وأعلنوا فيه عن قيام حركة الجهاد الإسلامي الأريتري ، وناشدوا جميع المسلمين لـنصرة الجـهـاد الإسلامي الأريتري والوقوف إلى جانبه .

من متابعة مسيرة الأحداث السابقة ، وما حصل في النهاية من وحدة بين الأريتريـيـن ومن معرفة الأشخاص القائمين على هذا الاتحاد تظهر لنا بعض النقاط :

1- تحرك بعض القائمين علي هذه الحركة الجديدة يـمـثـل عـاطـفة إسلامـيـة جـيـاشـة، ونحسبها صادقة بإذن الله ، وهذه العاطفة الصادقة كانت كافية تماماً للتغلب على حزبية الشعارات التجمعية، وكسـر طوقـهـا، وتحطـيـمـهـا، والاندماج تحت لواء حركة جهادية واحدة وأمارة صحة في مسيرة العمل الإسلامي الأريتري .

2 - القاسم المشترك بـيـن جمـيع أفراد مجلس شورى هذه الحركة هو أنهم يتبنون عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد أعلنوا ذلك في بياناتهم وفي ما ظهر من قياداتهم .
3- لاشك أنهم يعدون لأمر عظيم جللٍ ، وهو الجهاد في سبيل الله ، ضد قوى معادية ، وهم لا يملكون أرضاً ولا عتاداً ، إلا أنهم أمام طريق شاق ، ويحتاجون إلى وقت غير قصير كي يشقوا طريقهم الجهادي وهـم بحاجة إلى الـدعـاة إلى الله والجـمـاعـات الإسـلامـية أن تدعمهم بكل ما تستطيعه من توجيه ، ونصح ومعونة مادية.
وبـعـد فـإن القـضـيـة الأريـتـريـة هي قضية إسلامية تهم جميع المسلمين الذين يهمهم أمر إخوانهم المضطهدين هناك والذين أصبحوا بين فكي كماشة ، فالاستـعمـار الأثـيـوبـي مـن جهة ، والمنظمات غير الإسلامية من جهة أخرى ، ولا يمكن أن يخرج هؤلاء من المأزق إلا بالجهاد في سبيل الله وبالوحدة الإسلامية القائمة على منهج قويم ، وهـانـحـن نـرى الآن صحوة الإسلاميين في أريتريا من خلال وحدتهم الأخيرة ومن خلال دعوتهم إلى الجهاد في سبيل الله .. لذلكِ فنحن بعد أن ندعو الدعاة والإسلاميـيـن إلى مناصرة إخوانهم في أريتريا بعيداً عن أي شعارات حزبية قـد تـفـرق شمـلـهـم بـعـد أن تجمعهم نود أن نذكر إخوانـنا الأريتريين بالملاحظات التالية .
1- وجوب المحافظة على الوحدة القائمة على منهج أهل السنة والجماعة ، وعلى عقيدة التوحيد ، والحذر من دخول الشعارات الحزبية التي تفرق ولا تجمع ، والصدق مع الله ثم مع المؤمنين في هذا التوجه ، وأن يكون واقعاً مستمراً وليس شعاراً مؤقتاً .
2 - اعلموا أنه لانصر إلا بوجود شروطه ، ومن أهم الشروط هو الاتباع والاجتماع ، اتباع منهج صحيح والاجتماع عليه ، وأن الانـتـكاسـات الـتي تحدث داخل الساحة الإسلامية اليوم سببها الغفلة عن المنهج والذي أنشأ الفرقة ، ولـن يـكـون أعـداء الله إلا أقـزامـاً أمام جحافل المؤمنين التي تحمل نور التوحيد والإيمان ، المتوحدين تحت لواء عقيدة ومـنـهـج أهل السنة والجماعة .
3 - الحذر من وجود المنافقين داخل الصف ولو رفعوا شـعـارات إسلامـيـة، لأن مـيـاديـن الجهاد من المـيـاديـن الـتـي تـغـري أمـثـال هـؤلاء بالظهور، وتجارة الجهاد من قبل رموز محسوبة على المجاهدين من أهم إشكالات قضايا المسلمين الجهادية اليوم .
4 - الاستفادة من دروس الجهاد الأفغاني الإيجابية والسلبية ، وبخاصة أن هناك تشابهاً كبيراً بين الساحتين من ناحية الانتماءات الفـكـرية وكذلك الولاءات السياسية ، فنستفـيد من دروس إيجابية ضخمة أفرزها الجهاد الأفغاني ، ونحذر من سلبيات حصلت وتحصل هناك حتى لا نكرر أخطاءنا .

5- رصد لعبة الأمم في منطقة أريتريا وجنوب السودان والصومال وشرق القارة عموماً حيث تترابط قضايا المنطقة هناك، وتـتـآمـر قـوى كـثـيـرة عـلـى المسلمين فيها، وهناك مخططات وترتيبات لمستقبل المنطقة في أذهان أولئك ، فهناك مؤامرة صليبية ماكرة هدفها إقامة كيان أو كيانات صليبية في المنطقة ، وأطراف هذه المؤامرة من داخل المنطقة ومن خارجها ، فمن الداخل حركة قرنق في السودان ، والجبهة الشعبية في أريتريا ، والجبهة الشعبية لتحرير تقراي ، وتنظيم رابطة الشعوب الأثيوبية، ويدعم هذه الحركات دول مجاورة مثل كينيا ، وأوغندا، وكذلك قوى خارجية، ودول غربـيـة، كما أن لمجـلـس الكـنـائـس العالمي دوراً مشبوهاً في التخطيط لإقامة كيان نصرني هناك ، وقد جاءت تحركات كارتر رئيس أمريكا السابق في المنطقة ، وكذلك محاولة الانقلاب الأخير في أثيوبيا لتصب في هذا الاتجاه .

والمنطقة مرشحة لمزيد من التفجيرات المستقبلية ، وما يصاحب ذلك من مـقـايـضـات بـيـن القوى المؤثرة فيها... لذا فنحن ننصح إخواننا بالحذر من الوقوع في لعبة المقايضات الـسـيـاسـيـة، أو أن يكونوا مادة لبعض فصولها ، لذلك فالترابط بـيـن الدعاة عموماً في كل أرض الله ، والتناصح بينهم كفيل بكشف مخططات خصومهم وكفـيل بتفويت الفرص على أعداء الجهاد وأعداء المجاهدين .

وفي الختام نسأل الله أن يعلي كلمته ، وأن يعز دينه ، وأن يوحد المسلمين تحت رايته .

مذابح الجمعة في مقديشيو - الصومال

رابطة العلماء في الصومال

وقعت مذبحة شـنـيـعــة في الحادي عشر من ذي الحجة 1409 هـ الموافق الرابع عشر من يوليو 1989 م عقب صــلاة الجمعة في معظم جوامع العاصمة مقديشيو ، مثل جامع الشيخ علي صوفي، وجامع التضامن الإسلامي ، وجامع سيغالي ، وجامع الحاج يوسف ، وجامع حي سيناء ، وجامع صنعاء ، وجامع بيحاني ، وغيرها من الجوامع في العاصمة ، حيث هاجم الحــرس الخـاص لزيــاد بري المصلين ، وهم مدججون بالسلاح والعربات المصفحة داخل الجوامع وفتحوا وابلاً مـن الـنـيــران عـشـوائياً على جموع المكبرين داخل الجوامع المذكورة تكبيرات عيد الأضحى .

وتفيد الأخبار أن إطلاق النيران العشوائي قد شمل معظم العاصمة وضواحيها وكان الحرس الخاص يلتقطون جثث الضحايا فور سقوطهم عـلــى الأرض ثم يجمعونهم في أماكن خاصة ويحفرون لهم ويدفنونهم ليلاً في مقابر جماعية

بواسطة الجرافات بدون غسل ، ولا كفن ، ولا صلاة ، وبدون علم ذويهم ، كما هرب كثير مــن الـنــاس بجرحاهم إلى بيوتهم ومات بعضهم هناك بسبب عدم الرعاية الصحية لهم ، وتم دفنهم داخل بيوتهم خوفاً من جنود الحكومة ، كما وجد كثير من الجثث بعد أيام في الأزقة مما جـعـل عـدد القـتـلـى غـيــر محصور حتى الآن لأن وفيات الجرحى مستمرة يومياً لعدم الرعاية الصحية - كما قلنا - ولخـوف الـنـاس مــن الـذهـاب بهم إلى مستشفيات الحكومة خشية الإبادة لذويهم وتدمير بيوتهم ، كما حدث لمن حــاول ذلك كما أخبر شهود العيان من أهل البلاد ، وكما نشرت جريدة الخليج بالتاريخ 22 / 7 / 1989 .
وقد لقي من جـزاء ذلـك أكـثـر من ألف وستة وأربعين شخصاً مصرعهم ، ومن بـين القتلى خـمـسـون شـخـصـاً أعـدمـوا فـور الـقـبـض عليهم دون محاكمة، وذلك ماعدا الاغتيالات الجماعية.
وقد ألقى القبض على كثير من الإسلامـيـيـن، مـنـهـم الـشـيـخ إبراهيم محمد علي خطيب ومدرس جامع سيغالي ، والشيخ عبد الرشيد ، والشيخ على صـوفـي خطيب ومدرس جامع الشيخ علي الصوفي ، والشيخ نور الدين علي أحمد الداعية المـعـروف في الـبـلاد ، والشيخ شريف شرف مدرس التفسير بمسجد أربع ركن ، ومحمد علي طاهر الكاتب عن المخططات النصرانية ضد الإسلام في البلاد ، حيث زج بهم في السجون والمـعـتقلات حـتـى اكـتـظـت السجون بهـم، ممـا اضـطـر الحـكـومة إلى نقل عدد كبير منهم إلى معسكرات التدريب مثل عيل جالي وطنانة ، ومراكز الشرطة .

أسباب هذه الحوادث :

1- تزايد حركة الـتـنـصـيـر في البلاد في السنوات الأخيرة حتى بلغ عدد هيئات التنصير أكثر من 32 هيئة تنصيرية تـتـسـتـر باسـم الهـيـئـات الخـيـرية لكـن غرضها الوحيد نشر المسيحية وتنصير أبناء المسلمين ، وقد فسحت لهم الحكومة مجالاً واسعاً ، حيث أعطتهم الحرية كاملة ففتحوا في أنحاء البلاد مدارس خاصة لـتـنـصـيـر أطـفـال المسلمين ، ومراكز لتلقي الشباب مساعدات مادية ومحاضرات تنصيرية ، وتقدم لهم أيـضـاً وعـوداً بإرسالهم إلى جامعات أوربا وأمريكا مستغلين بذلك أحوال البلاد المعيشية والإدارية الـسـيـئـة ، وقد زعم ممثل الفاتيكان في الصومال أخيراً بأن أكثر من اثني عشر ألف شاب صومالي دخلوا في المسيحية في الآونة الأخيرة .
2 -وبالمقابل فقد حاربت الحكومة نشاط الإسلاميين بالدعايات المغرضة المضادة ، وألـقـت القبض عليهم وأعدمت بعضهم ، وحكمت على كثير منهم بالسجن لمدد متفاوتة .
3- عداوة الرئيس الشديدة وكرهه للإسلام وأهله : فقد صرح بري عدة مرات بمناسـبـات مختلفة بتصرحيات معادية للإسلام منها ما قاله حين أصدر قانون

الأحوال الشخصية بأن الإسلام قد ظلم المرأة ، ونحن ننتصر لها ونسويها بالرجل في جـمــيع المجالات في الإرث والنكاح والطلاق وغير ذلك . وزعم بأن خمسين في المائة من القرآن الـكـريم مـنـسـوخ إلا أن العلماء لا يفهمون ذلك ، نشرت ذلك جريدة نجمه أكتوبر الحكومية بتاريخ 1/ 1/ 1975 م ومن عادته أن يتهكم على العلماء ويقول على سبيل السخرية والاستهزاء : السفهاء فعلوا ذلك، يعني العلماء الداعين للإسلام وقد حدث مرة أن واجهه أحد العلماء بنصيحة فقال: أكره الناس إليّ من قال لي اتق الله وخوفني بالله فهل الله سبع يأكل الناس ؟!

4 - قتل الأسقف الإيطالي في مقديشو : قتل الأسقف الإيطالي في مقديشو 9 / 7 / 1989 م بيد مجهول ، والجدير بالذكر أن المقتول لا يعرف له قاتل حتى الآن ، وملابسات القتل تؤكد بأن الحكومة هي وراء ذلك الاغتيال لأن القاتل فـر بـسـيـارة الجيش ولأن الأسـقـف أعطى أسراراً كثيرة تتعلق بتجاوز السلطات لحقوق الإنـسـان فـي الصـومـال للـجـنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة التي زارت البلاد قريباً .

ومع هذا فقد ألصق زياد بري زوراً وبهتاناً تهمة قتل هذا الأسقف الكاثوليكي بالإسلاميين، فعل ذلك لكي ينتقم من الأسقف الذي أفشى أسراره من جـهـة، ولـيـتـخـذ من ذلك ذريعة لضرب الإسلاميين الذين ضاق صدره من نشاطهم المتزايد وتأثيرهم البالغ عـلـى الشعب من جهة أخرى ، ثم أراد إرضاء الفاتيكان وأعداء الإسلام عامة فأظهر لهم حزنه الشديد لقتل الأسقف المحبوب له كما يدعي ، ووعد من يعثر على القاتل بجائزة مالية قـدرهـا عـشـرة ملايين شلنغ صومالي حسبما نشرت جريدتا البيان والخليج بتاريخ 18 / 7 / 1989م كـل هذه الأسباب وغيرها قد أثارت غضب الشعب الصومالي المسلم ، فأعلن العلماء على مـنـابر المساجد غضبهم واستنكارهم لمطاردة العلماء واتهامهم بما هـم بـراء مـنـه كـمـا اسـتـنـكـروا التسهيلات الواسعة النطاق التي تقدمها الحكومة لحركات التنصير .

اغتيالات جماعية :

تفيد الأخبار الواردة أن السلطات تداهم الناس في بـيـوتـهـم ليلاً وتأخذ الرجال إلى خارج العاصمة وتطلق النار عليهم جماعياً .

وقد أفاد شهود عيان أن مائة وعشرين جثة وجدت مـلـقـاة في منـطـقـة (عين عدى) وكذلك وجدت جـثـث أخرى في منطقة (الجزيرة) وذكر ناس من أهل البادية أنـهـم رأوا حـوالـي ثمانين رجلاً يطلق عليهم النار ثم حفر لهم قليب كبير عند (طنانة) .

لا تغتروا بالتصريحات الكاذبة :

اعتاد زياد بـري وأعـوانـه تـضليل الرأي العام العالمي وفرض التعتيم الإعلامي عما يجري داخل الصومال ، فعلى المسلـم أن يـتـتـبع الأخبار

الصحيحة من مصادرها الموثوقة ، وألا يغتر بتصريحات كاذبة من زياد بري وأعـوانـه الـذيـن يـشوهون الحقائق خوفاً من التنديد العالمي لجريمتهم البشعة اللاإنسانية .
حدثت هذه الذابح في مقديشيو بعد تدمير شمال البلاد تدميراً شاملاً بيد جيش زياد بري مستخدمين جميع الأسلحة العصرية في (هرجسة) و (برعو) وتـوابعـهـمـا ، وقد فر من نجا من التدمير والرصاص من أهل تلك المناطق إلى الحبشة ، ومازالوا هناك لاجئين .

صرخة من مسلمي الصومال :

يستنجد الشعب الصومالي المسلم الجريح إخوانه المسلمين في أنحاء العالم كي يتوسطوا لدى سلطات الصومال للإفراج عن المعتقلين ، وإيقاف الاغتيالات الجماعية ، والـسـمـاح للعلماء بمزاولة نشاطهم كما يهيب الشعب بإخوانه المحسنين من ذوي القلوب الرحيمـة أن يمدوا إليهم يد العون والمساعدة لإنقاذ المنكوبين والمتضررين من الأيتام والأرامل والعجزة حتى لا يقعوا في شراك التنصير الحاقد .

بأقلام القراء

وضوح الهدف

عبد لله سليمان الفراج

إخواني القراء : من خلال صفحات مجلتكم الغراء "البيان" اسمحوا لي أن أوجه لكم هذه الكلمات التي أخص بها إخوتي الشباب الذين هم أمل الأمة في إعادة الماضي التليد ، وبناء الحاضر الزاهر ، وتأسيس قواعد مشرقة لمستقبل الأمة .
إخواني :
الحياة تافهة عندما يجد الشاب نفسه بلا ضابط ، وفكره بلا محتوى ، وحياته بلا هدف ، ولا معنى ، مرحلة الشاب مرحلة حرجة ومنعطف حاد ، فالمرء يفترسه عاملا الفراغ وغموض الهدف ، فيسلبان الشاب فترة ذهبية من حياته ، يؤسس فيها القواعد الأولى لحياة هادفة قد تكون منطلقاً لآفاق أوسع .
فالهدف لابد من وضوحه ، وعندما نسأل عن الهدف لا نذهب بعيداً ، فكتاب الله بين أيدينا يقول فيه عز وجل : ((ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ)) فتحقيق غاية العبودية بمفهومها الشامل هو الغاية والهدف في الحياة .
علمنا الهدف فهل يكفي ذلك للوصول إليه ، لا أظن أن هناك إجابة تزاحم قولنا بأنه لابد من علم ومعرفة دقيقة بواقعنا ، لكي نسير على بصيرة ، فعندما ننظر من حولنا نرى غزواً فكرياً خطيراً قد استشرى واستفحل خطره ونحن لاهون عنه غافلون ، فهو يسلك طرقاً خفية حتى ينفث سمومه ، ولا

تدري الأمة إلا وقد ضاعت شخصيتها ، وزالت معاني أصالتها وقوتها ، سرى ذلك الغزو في جسد الأمة وترك بصماته على كلى جزء من هذا الجسد ، وما كان ذلك السريان إلا نتيجة لـ :

1- الفراغ الذي ملأ أوقات أفراد الأمة شيباً وشباناً ، نساء ورجالاً .
2- ضعف الإيمان في قلوب أفراد الأمة ، إلا من عصم ربك ، وقليل ما هم .
3- غلبة الجهل المتراكم حتى في الطبقات التي تدعي العلم وحمل الشهادات .
4- قلة التربية الصحيحة السليمة للنشىء في البيت أو المدرسة ، أو أجهزة الإعلام ، أو أجهزة الترفيه أو الشارع .

إخواني الشباب ، يا أمل الأمة : ننظر إلى حالنا فلا نرى ما يرضاه ذوو الهمم العالية من مخلصي هذه الأمة مما يجعل سؤالاً يؤرق أجفاننا وهو : ما منشأ ذلك الحال ؟ .
ولا يختلف اثنان على براءة ما نعتقده من ذلك ، فعقيدتنا تدعونا إلى الصلاح والإصلاح ، واستغلال جميع الأسباب النافعة التي ترقي بنا وتعلينا ، علمنا ذلك وإدراكنا لواقع أمتنا يوجب علينا مضاعفة جدنا ونشاطنا ، ولا نكون كمن رأى حال الأمة وحرج موقفهم فتخلى عنها كالجبناء ، والتفت إلى حضارات ومدنيات بُنيت على الكفر والإلحاد ، مزخرف ظاهرها خراب باطنها .
إن الأمة تريد منا شباباً عالمين عاملين وإلا فنحن في أمية من نوع آخر ليست هي الجهل بالقراءة بل هي الجهل بالتزام ما نعتقده ونعلمه ونقرؤه التزاماً عملياً في كل شؤون حياتنا في : المنزل ، المكتب ، الشارع ، المصنع...
إخواني : عليكم تلقى الآمال ومنكم يطلب الكثير ، فالطريق طويل والصعاب فوق ما نتصور ولكن قال تعالى : ((إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)) ((الله ولي الذين امنوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ والَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إلَى الظُّلُمَاتِ)) .

*****

الأخ طارق علي السقاف - صنعاء:

أرسل رسالة طويلة يبدي فيها إعجابه بمجلة البيان ويتمنى لها التوفيق والاستمرار في خدمة قضايا الأمة الإسلامية ، ويتحدث أيضاً عن مشاكل المسلمين في أنحاء كثيرة من العالم ، ثم يبدي تعاطفه مع الانتفاضة في فلسطين المحتلة ، ويرى أن الأمل في الإسلام فقط كطريق لتحرير المقدسات وطرد الغزاة ، ثم يقول في رسالته :
"... فلينظر المسلمون إلى حالهم اليوم ، وليتخذوا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته مثلهم الأعلى ، بدلاً من أن يتخذوا من الممثلين والممثلات ، والمفكرين العالميين وعباقرة الغرب قدوة لهم ، وليهتموا بجيل

الشباب ، ويحثوه على العلم النافع وذكــر الله والـتـمـسـك بالتـعـالـيـم الإسـلامـيـة ، بدلاً من اللهاث وراء الحضارة الغربية المادية ، لأن الشباب هم الجيل الذي سيتحمل مـهـام نـشـر ديــن الإسلام ، لذلك علينا تربيتهم تربية إسلامية صحيحة بعيداً عن المفاهيم المادية التي من شأنها تخريب المجتمعات ، كما يفعل الفكر الشيوعي الإلحادي القائم على إنكار وجود الله" .

الصفحة الأخيرة

العربية والإسلام

محمد رشيد رضا - الخلافة : 100

إن اللغة رابطة من روابط الجنس ، وقد حرم الإسلام التعصب للجنس لأنه مفرق للأمة ذاهب بالاعتصام والوحدة واضع للعداوة موضع الألفة ، وقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن العصبية العمية الجاهلية وتبرأ ممن يدعو إليها أو يقاتل عليها ، وقد كان من إصلاح الإسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة بجعل لغة هذا الدين العام لغة لجميع الأجناس التي تهتدي به ، فهو قد حفظ بها وهي قد حفظت به . فلولاه لتغيرت كما تغير غيرها من اللغات ، وكما كان يعروها التغيير من قبله . ولولاها لتباعدت الأفهام في فهمه ، ولصار أدياناً يكفر أهلها بعضهم بعضاً ، ولا يجدون أصلاً جامعاً يتحاكمون إليه إذا رجعوا إلى الحق وتركوا الهوى ، فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل يعرب بن قحطان ، بل هي لغة المسلمين كافة ولغة شعوب أخرى من غير العرب ، وطوائف من العرب غير المسلمين ، وما خدم الإسلام أحد من غير العرب إلا بقدر حظهم من لغته ، ولم يكن أحد من العرب في النسب يفرق بين سيبوية الفارسي النسب وأستاذه الخليل العربي في فضلهما واجتهادهما في خدمة اللغة ، ولا بين البخاري الفارسي وأستاذه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية العربيين في خدمة السنة ، بل لم يخطر في بال أحد من سلف الأمة ولا خلفها قبل هذا العصر أن يأبى تفضيل كثير من الأعاجم في النسب على بعض أقرانهم وأساتذتهم من العرب في ما امتازوا به من خدمة هذا الدين ولغته، ولا نعرف أحداً من علماء الأعاجم له حظ من خدمة الإسلام وهو يجهل لغته ولولا أن ظل علماء الدين في جميع الشعوب الإسلامية مجمعين على التعبد بقراءة القرآن المعجز للبشر بأسلوبه العربي وأذكار الصلاة وغيرها بالعربية ، ومدارسة التفسير والحديث بالعربية ؛ لضاع الإسلام في الأعاجم منها .

تمت بعون الله والحمد لله
